

# المسحاة

مجلة

المجلد العسرون  
الجزء الثاني والثالث



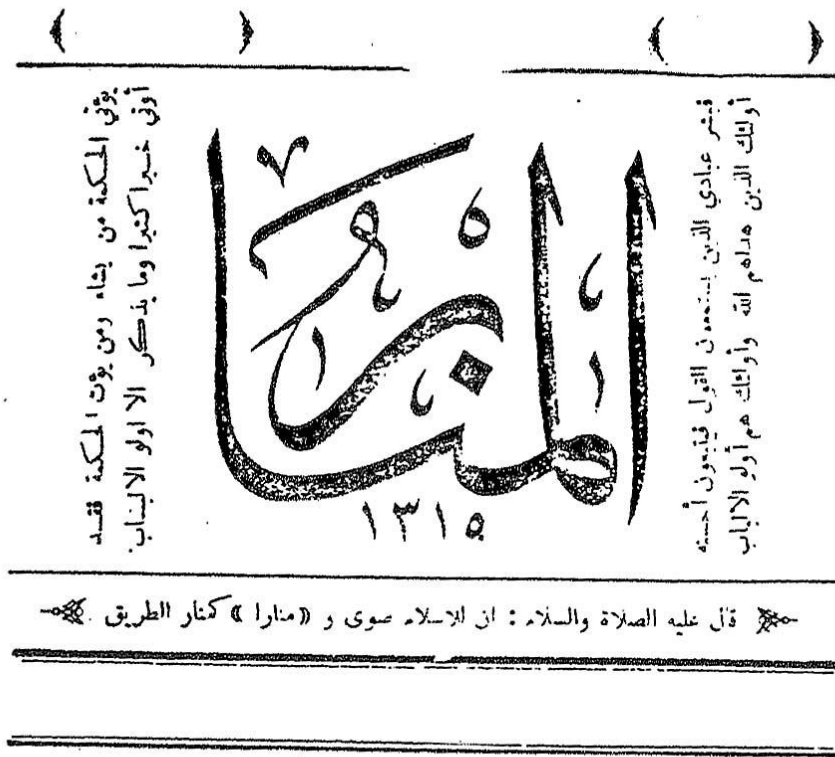
إهداء من

طبعة دار الوفاء  
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET



## بداية الجزء الثاني

حسب ترقيم الكتاب في أعلى الصفحة

[المنار: ج 1 م 20] - [المنار: ج 2 م 20]

## فَتَحْنَا بَابَ الْمُنْتَابِ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله ( وظيفته ) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بتاساء من الألقاب ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قد منأخرأ لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ فسخ عقد النكاح بالعيب في احد الزوجين ﴾

(س ٣) من صاحب الامضاء في العلاقة بالشرقية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الى القائم بأمر ربه المعتضد بحجة الله البالغة صاحب مجلة المنار

ارفعه مستفتيا فضيلتكم بعد حمد الله حق حمده والصلاة والسلام على خير عباده سيدنا محمد وعلى آله ومن تبعه ونحبه ونحبه الله وسلامه عليكم : أيها الاستاذ النبيل السيد السند :

يا صاحب الفضيلة بينما نقرأ ما يتعلق بالمرء وزوجه من بقاء النكاح وفسخه في الكتب التي للائمة الثلاثة الشافعي ومالك وأبي حنيفة رضي الله عنهم : اذ رأينا فيها أنه ليس لاحد الزوجين أن يفسخ النكاح لعيب بالآخر الا بالجنون والجرام والبرص ويسميا الأئمة ومن تبهم العيوب المشتركة فتوقفنا في حصر العيوب المشتركة التي يفسخ بها النكاح في الثلاثة الآفة الذ كر مع وجود ما يماثلها في الضرر بل ربما كان أشد وأولى مما ذكروا بالفسخ كالسل والزهري وغيرها من الادواء المستحدثة وبعد البحث والتنقيب لم نعتز على قول لافي الكتب التي بأيدينا ولا ممن سألناهم ممن يظن فيهم انهم لا يتقيدون بما تقع عليه أبصارهم من المنصوص فبعثنا اليكم بتلك الرسالة مستفتين : هل تجري الادواء المستحدثة مجرى ما نصوا عليه لمشاركته في (المنار: ج ٢) (١٣) (المجلد العشرون)

علة الحكم فتكون مقيسة عليه فيفسخ بها النكاح أو يقف الأمر عند حد المنصوص  
وهنا نساءل أي فرق بينها وبينه؟ وإذا كان مانص عليه الفقهاء مأخوذاً من دليل  
فما هو؟ هذا ما نرجو أن تجيبوا عنه بفصل القول الذي نهده فيكم ويهده العقلاء  
أجمع أمهكم الله بالعلم النافع وهدانا الله وإياكم إلى ما يوصلنا إلى مرضاته وسلوك  
سبيله القويم أنه سميع قريب عليم  
احمد عطية قوره من الملاقة

(ج) ليس في هذه المسألة نص صريح في الكتاب ولا في السنة الصحيحة  
وحديث زيد بن كعب بن عجرة الآتي فيه مقال وليس فيه تصريح بالفسخ لاجل  
البرص . ولكن فيها آثاراً عن بعض الصحابة والتابعين مستندة إلى أصول الشريعة  
الثابتة من منع الغش ونفي الضرر والضرار وحيث لا وجه لحصر العيوب فيما ورد  
في تلك الآثار إذ لا دليل على الحصر وإن ورد عن بعضهم عبارة فيه فتلك العبارة  
ليست مما يحتاج به من ذكرتم من الفقهاء كما يعلم من أصولهم ، ومذاهبهم ليست متفقة  
كما ادعيتهم . وقد حرر المسألة العلامة المحقق ابن القيم في كتابه زاد المعاد في فصل  
مستقل قال :

### ﴿ فصل ﴾

في حكمه صلى الله عليه وسلم وخلفائه في أحد الزوجين يجد بصاحبه  
برصاً أو جنوناً أو جذاماً أو يكون الزوج غنياً

في مسند أحمد من حديث يزيد بن كعب بن عجرة <sup>(١)</sup> رضي الله عنه أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة من بني غفار فلما دخل عليها فوضع <sup>(٢)</sup> ثوبه  
وقعد على الفراش أبصر بكشحها بياضاً فأنحاز <sup>(٣)</sup> عن الفراش ثم قال « خذي  
عليك ثيابك » ولم يأخذ مما آتاها شيئاً . وفي الموطأ عن عمر رضي الله عنه : أنه قال  
أيما امرأة غرت بها رجل بها جنون أو جذام أو برص فلها المهر بما أصاب منها وصدق

(١) كذا في نسخة الكتاب المطبوعة بمصر السكتيرة الفلظ وهو غلط صوابه زيد بن كعب  
ابن عجرة كما في سنن سعيد بن منصور وقد شك في السند فقال عن جميل بن زيد قال حدثني  
رجل من الأنصار ذكر أنه كان له صحبة يقال له كعب بن زيد أو زيد بن كعب . ومثله عند ابن  
عدي والبيهقي . ورواه الحاكم المستدرک من حديث كعب بن عجرة ولم يشك . وجميل بن زيد ضعيف  
وقد اضطرب في هذا الحديث وقال الحافظ ابن حجر مجهول (٢) في النسخة المذكورة وضع (٣) وفيها فأما



الرجل على من غره<sup>(١)</sup> وفي لفظ آخر قضى عمر رضي الله عنه في البرصاء والجذماء والمجنونة اذا دخل بها فرق بينهما والصداق لها بمسبسه اياها وهو له على وليها . وفي سنن أبي داود من حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما طلق عبد يزيد أبو ركانة<sup>(٢)</sup> زوجته أم ركانة ونكح امرأة من مزينة فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ما يعني عني الا كما تغني هذه الشعرة لشعرة أخذتها من رأسها ففرق بيني وبينه ، فأخذت النبي صلى الله عليه وسلم حمية فذكر الحديث وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال له « طلقها ففعل قال «راجع امرأتك ام ركانة واخوتها» فقال اني طلقها ثلاثاً يا رسول الله قال «قد علمت راجعها» وتلا (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن اعدتهن) ولا علة لهذا الحديث الا رواية ابن جريج له عن بعض بني أبي رافع وهو مجهول ولكن هو تابعي وابن جريج من الأئمة الثقات المدول ورواية العدل عن غيره تعديل له ما لم يعلم فيه جرح، ولم يكن الكذب ظاهراً في التابعين ولا سيما التابعين من أهل المدينة ولا سيما موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سيما مثل هذه السنة التي اشتدت حاجة الناس اليها، لا يظن بابن جريج انه حملها عن كذاب ولا عن غير ثقة عنده ولم يبين حاله

«وجاء التفريق بالعنة عن عمر وعثمان رضي الله عنهما وعبد الله ابن مسعود وسمرة بن جندب ومعاوية بن أبي سفيان والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم لكن عمر وابن مسعود والمغيرة رضي الله عنهم أجلوه سنة وعثمان ومعاوية وسمرة رضي الله عنهم لم يؤجلوه والحارث بن عبد الله رضي الله عنه أجله عشرة أشهر. وذكر سعيد بن منصور حدثنا هشيم أنبأنا عبد الله ابن عوف عن ابن سيرين ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث رجلاً على بعض السماية فتزوج امرأة وكان عقيماً فقال له عمر رضي الله عنه : أعلمتها انك عقيم؟ قال لا . قال فانطلق فأعلمهم خبرها، وأجل مجنوناً سنة فان أفاق والا فرق بينه وبين امرأته «فاختلف الفقهاء في ذلك فقال داود وابن حزم ومن وافقهما لا يفسخ النكاح

(١) عزاه الحافظ ابن حجر في باوغ المرام الى سعيد بن منصور ومالك وابن أبي شيبة ثم قال ورجاله ثقات وروى سعيد أيضاً عن علي بن محبوب وزاد : وبها قرئت فزوجها بالخيار فان مسها فله المهر بما استحل من فرجها (وسياقي) (٢) في المتن زيادة واخوته أي وأبو أخوة ركانة

١٠٥ أقيس أقوال الفقهاء في فسخ النكاح بالعيوب [المنازل: ج ٢ م ٢٠]

بعب البتة ، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه لا يفسخ إلا بالجب والعنة خاصة ، وقال الشافعي ومالك يفسخ بالجنون والبرص والجذام والقرن والجب والعنة خاصة . وزاد الامام احمد عليهما أن تكون المرأة فتقاء منخرقة ما بين السيلين ، ولا صحابه في ثن الفرج والفم وأنخرق مجرى البول والمثني في الفرج والقروح السيالة فيه والبواسير والناصور والاستحاضة واستطلاق البول والنجو والخصي وهو قطع البيضتين والسل وهو سل البيضتين والوج وهو رضاءها وكون أحدهما خنثى مشكلا والعيوب الذي يصاحبه مثله من العيوب السبعة والعيوب الحادث بعد العقد وجهان ، وذهب بعض أصحاب الشافعي الى رد المرأة بكل عيب ترد به الجارية في البيع ، وأكثرهم لا يعرف هذا الوجه ولا مظهره ولا من قاله ومن حكاه أبو عاصم العباداني في كتاب طبقات أصحاب الشافعي ؛ وهذا القول هو القياس أو قول ابن حزم ومن وافقه . وأما الاقتصار على عيين أو ستة أو سبعة أو ثمانية دون ما هو أولى منها أو مساو لها فلا وجه له ، فالعمى والخرس والطرش وكونها مقطوعة اليدين أو الرجلين أو إحداهما أو كون الرجل كذلك من أعظم المنفرات والسكوت عنه من أقبح التدليس والغش وهو مناف للدين ، والاطلاق إنما ينصرف الى السلامة فهو كالمشروط عرفا وقد قال أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لمن تزوج امرأة وهو لا يولد له أخبرها أنك عقيم وخبرها فإذا يقول رضي الله عنه في العيوب التي هذا عندها كمال بلا نقص

«والقياس ان كل عيب ينفر الزوج الآخر منه ولا يحصل به مقصود النكاح من الرحمة والمودة بوجب الخيار وهو أولى من البيع كما أن الشروط المشروطة في النكاح أولى بالوفاء من شروط البيع وما ألزم الله ورسوله مغرورا قط ولا مغبونا بما غر به وغبن به . ومن تدبر مقاصد الشرع في مصادره وموارده وعدله وحكمته وما اشتمل عليه من المصالح لم يخف عليه رجحان هذا القول وقر به من قواعد الشريعة

«وقد روى يحيى بن سعيد الانصاري عن ابن المسيب رضي الله عنه قال قال عمر رضي الله عنه إنما امرأة تزوجت وبها جنون أو جذام أو برص فدخل بها ثم اطلع على ذلك فلها مهرها بمسيه اياها وعلى الولي الصداق بما دلس كما غره . ورد هذا بأن ابن المسيب لم يسمع من عمر رضي الله عنه من باب الهذيان البارد المخالف

لإجماع أهل الحديث قنينة، قال الامام أحمد اذا لم يقبل سعيد بن المسيب عن عمر رضي الله عنه فن يقبل : وأئمة الاسلام جمهورهم يحتجون بقول سعيد بن المسيب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فكيف بروايته عن عمر رضي الله عنه ؟ وكان عبد الله ابن عمر رضي الله عنه يرسل الى سعيد يسأله عن قضايا عمر رضي الله عنه فيبقي بها ، ولم يطعن أحد قط من أهل عصره ولا من بعدهم ممن له في الاسلام قول معتبر في رواية سعيد بن المسيب عن عمر رضي الله عنه ولا عبرة بغيرهم

«وروى الشعبي عن علي كرم الله وجهه : أيما امرأة نكحت وبها برص أو جنون أو جذام أو قرن فزوجها بالخيار ما لم يمسه ان شاء أمسك وان شاء طلق وان مسها فلها المهر بما استحل من فرجها . وقال وكيع عن صفيان الثوري عن يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب عن عمر رضي الله عنهم قال : اذا تزوجها برصاً أو عيماً فدخل بها فلها الصداق ويرجع به على من غره . وهذا يدل على ان عمر رضي الله عنه لم يذكر تلك العيوب المتقدمة على وجه الاختصاص والحصر دون ماعداها ، وكذلك حكم قاضي الاسلام حقا الذي يضرب المثل بعلمه ودينه وحكمه شريح رضي الله عنه . قال عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين رضي الله عنه : خاصم رجل الى شريح فقال ان هؤلاء قالوا لي إنا نزوجك أحسن الناس فجأني بامرأة عيماً ، فقال شريح ان كان دلس لك بعيب لم يجز . فتأمل هذا القضاء وقوله ان كان دلس لك بعيب كيف يقتضي ان كل عيب دلست به المرأة فلزوج الرد به .

«وقال الزهري رضي الله عنه يرد النكاح من كل داء عضال . ومن تأمل فتاوى الصحابة والسلف علم انهم لم يخصوا الرد بعيب دون عيب الا رواية رويت عن عمر رضي الله عنه لا ترد النساء الا من العيوب الاربعة الجنون والجذام والبرص والداء في الفرج ، وهذه الرواية لانهم لما اسنادا أكثر من أصنع وابن وهب عن عمر وعلي رضي الله عنهما وقد روي عن ابن عباس ذلك باسناد متصل ذكره صفيان عن عمرو ابن دينار عنه

« هذا كله اذا أطلق الزوج وأما اذا اشترط السلامة أو شرط الجمال فبانت شوهاً ، أو شرطها شابة حديثة السن فبانت عجوزاً شططاء ، أو شرطها بيضاء فبانت



## ١٠٢ رد النكاح أو فسخه بكل داء ولا سيما إذا شرط السلامة [المنار: ج ٢٠ ص ٢٠٢]

سوداء، أو بركا فبانت ثيبا، فله الفسخ في ذلك كله، فإن كان قبل الدخول فلا مهر وإن كان بعده فلها المهر وهو غرم على وليها إن كان غره، وإن كانت هي الفارة سقط مهرها أو رجع عليها به إن كانت قبضته. ونص على هذا أحد في إحدى الروايتين عنه وهو أقيسهما وأولاهما بأصوله فيما (إذا) كان الزوج هو المشرط، وقيل أصحابه إذا شرطت فيه صفة فإن بخلافها فلا خيار لها إلا في شرط الحرية إذا بان عبدا فلها الخيار، وفي شرط النسب إذا بان بخلافه وجهان. والذي يقتضيه مذهبه وقواعده أنه لا فرق بين اشتراطه واشتراطها بل أثبات الخيار لها إذا فاته ما اشترطته أولى لأنه لا يتمكن من المفارقة بالطلاق، فإذا جازله الفسخ مع تمكنه من الفراق بغيره فلأن يجوز لها الفسخ مع عدم تمكنها أولى، وإذا جاز لها أن تفسخ إذا ظهر الزوج ذا صناعة دنيئة لا تشين في دينه ولا في عرضه وإنما تمنع كمال لذتها واستمتاعها به فإذا شرطته شابا جميلا صحيحا فإن شيخا مشوها أعمى أطرش أخرس أسود فكيف تلزم به وتمنع من الفسخ؟ هذا في غاية الامتناع والتناقض والبعد عن القياس وقواعد الشرع والله التوفيق

«وكيف يمكن أحد الزوجين من الفسخ بقدر العدسة من البرص ولا يمكن منه بالجرب المستحكم المتمكن وهو أشد إعداء من ذلك البرص اليسير وكذلك غيره من أنواع الداء العضال»<sup>(١)</sup> وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم حرم على البائع كتمان عيب سلعته وحرم على من علمه أن يكتمه من المشتري فكيف بالعيوب في النكاح وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس حين استشارته في نكاح معاوية رضي الله عنه أو أبي جهم رضي الله عنه «أما معاوية فصعلوك لا مال له وأما أبو جهم فلا يضمن عصاه عن عاتقه» فلم أن يان العيب في النكاح أولى وأوجب فكيف يكون كتمان وتدليس والفش الحرام به سببا للزومه، وجعل ذا العيب غلا لازما في عنق صاحبه مع شدة نفرته عنه ولا سيما مع شرط السلامة منه وشرط خلافه؟ وهذا مما يعلم يقينا أن التصرفات (في) الشريعة وقواعدها وأحكامها تأباه والله أعلم

«وقد ذهب أبو محمد بن حزم إلى أن الزوج إذا شرط السلامة من العيوب

(١) ومنه داء السل وداء الزمري



[ المنار: ج ٢ م ٢٠ ] الاصرار على البدع وشروط الجمعة ١٠٣

فوجد أي عيب كان فالنكاح باطل ، من أصله غير منعقد ولا خيار له فيه ولا اجازة ولا نفقة ولا ميراث، قال ان النى أدخلت عليه غير النى تزوج اذ السالة غير المعية بلا شك فاذا لم يتزوجها فلا زوجية بينهما » اه

﴿ الاصرار على البدع ، وما يشترط في مكان الجمعة وزمانها وعدد جماعتها ﴾  
( ٤ - ٧ ) من الشيخ يوسف أحمد سليمان الطالب بمشيشة الاسكندرية .  
من ( طملاي ) بمركز منوف  
فضيلتو الاستاذ مفتي المنار

سأل عبد الرحمن أحمد الصميدي من طملاي عن حكم فعل البدع التي كثيرا ما نهينا أئمة البلد عنها والله الحمد فأجبتكم اجابة كافية شافية في الجزء التاسع الذي صدر في ٣٠ ربيع سنة ١٣٣٥ ( صحيفة ٥٣٨ ) وعرضنا الجواب على علماء الناحية لافرق بين مدرس في الازهر وغير مدرس فقرءوه وفهموه ، وانتمنا العمل بما علموه فامتعوا وقالوا إن ترك العمل غير جائز والعمل بالبدع جائز وهو أحسن ! ولذا لم يتركوا حتى ولا واحدة بل زادوا الطبل والرايات أمام الجنازة اذا شخص منهم مات وعضوا عليها بالنواجذ. وقد رأينا في كتاب فتاوى أئمة المسلمين للشيخ محمود صحيفة ٥٠ : سئل الشيخ أحمد الرفاعي عن الذي لم يرض بسنة النبي في الصلاة أو الدفن فهل تصح الصلاة خلفه ويصح ان يحمل من عدد الجمعة ؟ فأجاب بأن الصلاة خلفه باطلة واذا جعل من عدد الجمعة بطلت صلاة الجمعة على جميع المسلمين . وسئل الشيخ سليم البشري عن رجل يقول بدم جواز ترك البدع المجمع على بدعتها كالترقية الخ واذا قيل له سنة النبي صلى الله عليه وسلم ترك هذه الامور لا يقبل النصيحة وهذا الرجل امام راتب في مسجد فهل يصلون جماعة في المسجد قبله أو معه أو بعده ؟ فاجاب بأن هذا الامام مبتدع فلا يكون اماما للمسلمين وعليهم ان يجتهدوا في منعه من الامامة ولو بواسطة الافراد

فعل هذا

هل الشرع الذي شرعه لنا رسول الله يرى لنا رخصة في كوننا نصلي الجمعة

١٠٤ استحسان البدع وإجازتها [ المنار: ج ٢ م ٢٠ ]

في الغيظ أو في البيت أو في المسجد بعدد أقله ثلاثة غير الامام الخاطب من وقت صلاة العيد الى الاصفرار هل ذلك يجوز أم لا وما هي التي تجزئ؟ أشفنا بالجواب  
رفعتك الملك الوهاب

### الجواب في مسألة البدع

البدع منها ما يكون كفرا أو وسيلة الى الكفر ومنها ما هو حرام وما هو مكروه ، وليس في البدع الشرعية شيء ، جائز كان يكون مباحا ، لأنها لا تكون الا ضلالة كما ورد في الحديث ، وقد صرح بهذا الفقيه ابن حجر المكي في الفتاوى الحديثية (ص ٢٠٦) وأما البدعة غير الشرعية فهي التي قالوا انها تنقسم الى الاحكام الخمسة كما بينه ابن حجر في ص ١١٢ من الفتاوى الحديثية أيضا ولكنه أخطأ في بعض الامثلة ، وعبر عن هذه البدعة بالبدعة اللغوية وقد فصل العلامة الشاطبي هذا البحث تفصيلا تاما في كتابه الاعتصام ، وسبق لنا نقل كثير من فصوله . ولم يبلغنا قبل اليوم أن الجمل بلغ من أحد ينسب الى الاسلام مبلغا حمله على القول بان العمل بالبدعة الشرعية جائز وانه خير من تركها . وما نقله السائل عن الشيخ أحمد الرفاعي فيه مبالغة لانعرف لها وجها بذلك الاطلاق ، وما أفتى به الشيخ سليم البشري حق ظاهر والشيخ أقدر من كل أحد في مصر على مقاومة البدع وابطال كثير منها وذلك لا يكون بفتوى منه فانه يقل في هذا القطر من يترك شيئا تعودده افتاءى عالم ، ولكن لدى الشيخ وسائل أخرى كل منها يؤثر مالا يؤثر الفتاوى الفردية

يسهل على الشيخ وهو رئيس العلماء - أن يؤلف لجنة من كبار علماء المذاهب الاربعة في الازهر ويأمرها باحصاء البدع الفاشية في المساجد والاضرحة والموالد وغيرها وتاليف رسائل في التغير عنها تطبع وينشر فيها أسماء عشرات من العلماء الذين ألفوها وأقروها ، وأن يعهد الى علماء جميع المعاهد الدينية وطلابها بنشرها وقراءتها على الناس في المساجد بنظام متبع ، وكذا في غير المساجد بشرط أن يكونوا أول العاملين بها والمنكرين على كل من يخالفها ، ويمكن طبع الالف من هذه الرسائل على نفقة الاوقاف الخيرية المطلقة وتوزعها بغير عن - وأن يعهد الى بعض المفتشين المجيدين

بانشاء خطب في ذلك توزعها وزارة الاوقاف على خطباء جميع المساجد ليخطبوا بها ، وأن يقترح على الشمرء المجيدين أن ينظموا ذلك في قصائد وموشحات تزجر الناس عن تلك البدع . ويسهل عليه أيضا ان يتوسل بالحكومة الى ابطال كثير من تلك البدع ولا سيما بدع المواسم والاحتفالات التي للحكومة يد فيها . فمضى الله أن يوفق الشيخ الى هذا العمل الذي لا يقدر عليه غيره فيكون ذخرا له عند الله تعالى وموجبا لثناء الناس كلهم بحق الجواب عن مسألة المدد في الجمعة

اختلف العلماء في المدد الذي تنعقد به الجمعة على خمسة عشر قولاً نقلها الشوكاني عن الحافظ ابن حجر أضعفها القول بأنها تصح من الواحد فلا يشترط فيها عدد — وقد نقل الاجماع على خلافه — ثم القول بأنها لا تنعقد بأقل من ثمانين وهو أكثر ما قيل فيها . وأوسطها القول بأنها تصح من اثني عشر غير الامام وهو المدد الذي بقي مع النبي (ص) فجمعت بهم حين انفض الناس الى التجارة وهم الذين نزل في شأنهم آخر سورة الجمعة ، فظاهر حديث جابر في المسألة عند أحمد والشيخين انه صلى بهم وان لم يصرح بذلك وصح عند الطبراني وابن أبي حاتم أنه (ص) سألهم عن عددهم فكانوا ١٢ رجلا وامرأة فلولا اعتبار المدد الذي لا يعرف الا بالمدد دون مجرد النظر لم يسألهم وفيه ان ذلك لا ينفي صحتها بأقل من هذا المدد لان هذه واقعة عين لا تدل على العموم ، وإنما وجه الاستدلال به أن يقال فيه ما قيل في خبر انعقادها بالاربعة وهو ان الامة أجمعت على اشتراط المدد في الجمعة وقد ثبت جوازها بهذا المدد فلا يجوز بأقل منه ولا سيما في الابتداء الابدليل ولم نرد ليلا صحيحا لاحد من قالوا بانعقادها بأقل من ذلك فأقل ما يقال فيه ان انعقادها بما دون هذا المدد مشكوك في صحته ولا يزيل هذا الشك قياسها على الجماعة الذي استدلل به من قال بانعقادها باثنين أو ثلاثة مع الامام أو بدونه لانه معارض لما دل عليه سؤال النبي (ص) عن عدد من بقي يوم انفض الناس من حوله . ولان مخالفة الجمعة لغيرها من الصلوات الخمس في بعض الاحكام فارق يطل صحة القياس ، ولو كان صحيحا لما خفي على الصدر الاول ولم ينقل عنهم التعجيل بثلاثة ولا أربعة ولكن في الاربعة حديثا لا يصح . هذا ما أراه أقوى (المنار: ج ٢) (١٤) (المجلد العشرون)



الاقوال في المسألة . وقال الجافظ عند ذكر القول الخامس عشر وهو اشتراط جمع كثير بغير قيد : ولعل هذا الاخير أرجحها من حيث الدليل اه وفيه ان الاثنى عشر اذا لم يكونوا جميعا كثيرا فما حد الكثرة عنده وهي من الامور النسبية وما الدليل عليها ؟  
الجواب عن مسألة مكان الجمعة

اشترط بعض الفقهاء أن تقام الجمعة في مصر جامع أي مدينة ولم يجزوا إقامتها في القرى بمعناها العرفي أي الضياع أي البلدات القليلة السكان . وروي ذلك عن علي كرم الله وجهه مرفوعا وموقوفا وقد ضعف أحمد رفعه وصحح ابن حزم وقفه وعليه زيد بن علي والباقر والمؤيد بالله من أئمة العترة وأبو حنيفة وأصحابه . والجمهور يجزون التجميع في القرى بالمعنى العرفي المذكور ومن حججهم ما رواه البخاري وأبو داود عن ابن عباس (رض) : أول جمعة جمعت بعد جمعة جمعت في مسجد رسول الله (ص) في مسجد بجوائي من البحرين — هذا لفظ البخاري ولفظ أبي داود : بجوائي قرية من قرى البحرين . وزاد أيضا « في الاسلام » - بعد قوله : أول جمعت جمعت . قالوا وصلاة الجمعة في ذلك الوقت مما لا يفعله الصحابة باجتهادهم بل بأمر النبي (ص) أي وان فرض فعلها باجتهادهم فلا يعقل أن ينهى عليه فإذا لا يكون الا بأمره وهو الراجح أو باقراره اذ لو أنكره عليهم لتوفرت الدواعي على قتله . وكسب عمر الى أهل البحرين أن جمعوا حيثما كنتم وصحبه ابن خزيمة عنه . وروي عبد الرزاق عن ابن عمر باسناد صحيح انه كان يرى أهل المياه بين مكة والمدينة مجتمعون فلا يعتب عليهم . أقول ولا حجة فيما هو آثار عن الصحابة مختلفة والقرية في حديث ابن عباس الذي في معنى المرفوع هي مصر . ويمكن الجمع بأنها تصح من أهل الضياع والمزارع ولا تنجب عليهم بل على أهل المدن . ونص حديث علي المشار اليه آفا « لا جمعة ولا تشريق الا في مصر جامع »

والقرية والمدينة والمصر والبلد تتوارد على معنى واحد في اللغة وان كان بينها فروق دقيقة في موادها فقد أطلق في القرآن اسم القرية والبلد على مكة وهي أيضا مدينة ومصر بلا خلاف ، وأطلق اسم القرية في سورة يوسف على مصر (١٢ : ٨٢) وقال علماء اللغة : القرية — بالفتح والكسر — المصر الجامع . ولا ندري متى جعل



المولدون لفظ القرية اسماً للبلدة الصغيرة وفسر أهل اللغة المصر بالكورة والصقم ، والكورة بالمدينة ، وقالوا ان الكورة والخلاف والرساق والجند واحد ، وهو مجموع القرى والمزارع ، فكان المصر البلد الذي يتبعه عدة مزارع وضياع وهو كالبلندر في عرف مصر ، وقال الراغب المصر اسم لكل بلد محصور أي محدود يقال مصرت مصرًا — أي بنيت ، والمصر الحد . اهـ وقول الليث انه عندهم الكورة التي تقام فيها الحدود ويقسم الفيء والصدقات — من غير مؤاخذة الخليفة اصطلاح اسلامي واشترط بعض العلماء اقامة الجمعة في مسجد مستدلاً بعمل الناس في الصدر الاول وما بعده ، والعمل وحده لا يعدونه دليلاً ، وروى أهل السير انه (ص) صلى الجمعة بالناس في بطن الوادي قبل وصوله الى المدينة ، وصرح ابن القيم بأنه صلاحها هنالك في مسجد ، والجمهور لا يشترطون المسجد ، وثبت عن الصحابة اقامة الجمعة في مصلى العيد خارج البلد

#### الجواب عن مسألة وقت الجمعة

ورد في الاحاديث الصحيحة التصريح بان النبي (ص) كان يصلي الجمعة حين تحيل الشمس أي عند الزوال بأنهم كانوا يصلون معه ثم يرجعون الى القائلة فيقولون — روى المعينين أحمد والبخاري من حديث أنس ، والقائلة الظهيرة أي منتصف النهار والقبولة وهي النوم في الظهيرة أو الاستراحة فيها وان لم ينم وفي حديث سهل بن سعد الذي اتفق عليه الجماعة : ما كنا نقيل ولا تنغدى الا بعد الجمعة . أي في عهد النبي (ص) كما صرح به في رواية مسلم والترمذي . وعن ابن قتيبة لا يسمى غداء ولا قائلة بعد الزوال ، وهنالك احاديث أخرى بهذا المعنى أخذ بها الامام أحمد فقال بصحة الجمعة قبل الزوال وتكلف الجمهور تأويلها وذهب بعض أصحاب أحمد الى أن وقتها وقت العيد وبعضهم الى أنها لا تقدم على الساعة السادسة أي التي تنتهي بالزوال والجمهور منهم كثيرهم فالمعروف في قههم ان وقتها وقت الظهر ولا دليل على صحتها في وقت العصر ، والتجميع قبل الزوال مختلف فيه وموجب للاقتران والقبيل والقال بلا فائدة ، فلا ينبغي الاقدام عليه

## رحلة الحجاز \*

٤

### السفر الى مكة المكرمة

في صبيحة يوم السبت سافر ركب المحمل المصري من جده قبل شروق الشمس وفي ضحوته سافرت الوالدة والشقيقة ومعهما الصديق الكريم الشيخ خالد النقشبندي والصهر الحميم محمد نجيب أفندي وقد استأجرنا لهم أربعة جمال بخيئين اثنين للركوب واثنان لحمل المتاع (العفش) وأرسلت حكومة جدة معهم جنديان عريان من جنود الشريف المهجانة للخفارة وزودهم صديقنا ومضيفنا الشيخ محمد نصيف بأنفس الزاد الكافي . وتأخرت عنهم لأنام ما كنت بدأت به من كتابة نبذة من التفسير للمنار لارسالها مع البريد من جدة مع كتابة مالا بد من كتابته الى مصر . ثم سافرت بعد صلاة العصر من هذا اليوم على حمار استأجرته بمئة قرش عثمانى ولم أكد أظفر به لولا مساعدة الاصدقاء لان المغاربة والمصريين قد سبقوا الى استئجار جميع خير البلد أو أكثرها . وسافر معي جنديان من هجانة العرب بأمر الحكومة لاجل التكرم لا الحفظ فانها واثقة بامن الطريق، وركب معي الشيخ محمد نصيف والشيخ مساعد اليافي مدير الشرطة في جدة وبعض الاصدقاء مشيعين مودعين ثم عادوا عند غروب الشمس الى جدة وقد زودني الصديق المضيف بالزاد النفيس الكافي كما زود الاكل والصحب واختار لي شابا نشيطا من أهل جدة للخدمة في الطريق وأخذ الحمار في مكة وأدركنا في الطريق أحد الحجاج المصريين على حمار فراقنا .

### العناية بأمر الماء في السفر

ولم أهتم لنفسي الا بملء إيريقي المعدني الذي يحفظ ما يودع فيه من بارد وحار زمنا طويلا بقطع الثلج وملء قربة من الماء النقي . ذلك بأنني أعنى بأمر الماء مالا أعنى بأمر الطعام ولا سيما في السفر ، ولا يشق عليّ فقد شيء من طيبات الدنيا

(\*) تأخر نشره بخير تعمد

التي اعتدتها الا الماء البارد النقي . وهذا الابريق من نوع الروايات (واورد) أوعية الماء للسفر) الافرنجية التي يسمون واحدها (ترموس) وأ كثر هذا النوع عمودي الشكل وهو يحفظ ما يودع فيه من بارد وحارّ يوما وليلة بالتقريب، وأبريقي الذي ذكرت بخالفها في الشكل والجودة فهو نوع جيد يحفظ الثلج أو الجليد عدة أيام لا يذوب منه الا القليل وقد ملائته بالثلج مرة في طرابلس الشام وسافرت قاصدا مصر فبت في بيروت ليلتين وفي البحر ليلتين بعدها لم أحتج فيها اليه لاني أعدته لشرب الليل والماء المثلوج متيسر في الباخرة عامة النهار وناشئة الليل، وقد اتفق ان كان منزلي (القمر) من الدرجة الاولى بجانب مستودع الماء المثلوج للباخرة ، وفي ضحوة اليوم الخامس نزلنا في محجر الاسكندرية الصحي فتماهدت الابريق فاذا بالثلج فيه لم يذب الا بعضه . وقد كان هذا الابريق هدية من سلطان مسقط السابق السيد فيصل رحمه الله تعالى - ولم أر هذا النوع الا عنده أهداه الي عند سفري من مسقط سنة ١٣٣٠م اذ رأى أنني حين كنت في ضيافته لم أسأل عن شيء الا عن الماء المثلوج. وكان عنده آلة اصنع الثلج ولكنها كانت معطلة في فصل الشتاء وكان وصولي الى مسقط في أول فصل الربيع والشمس في برج الحمل (شهر ابريل - نيسان) فأمر باصلاح الآلة واستعمالها قبل الموعد المعتاد عندهم لاجلي ، ووضع عندي في دار الضيافة إبريقا من هذا النوع الذي نتكلم عنه ليتيسر وجود الثلج عندي في كل ساعة من الليل والنهار، ولما سافرت وجدت مع متاعي في الباخرة إبريقا آخر منه جديدا لم يستعمل من قبل، فاستفدت منه في سفري ذلك ، وكان أكبر نفعه في السفر من البصرة الى بغداد في شط العرب ودجلة اذ قل الثلج في الباخرة بين العمارة وبغداد ثم نفذه ثم في السفر من بغداد الى حلب، ولا يوجد الثلج بينهما الا في مدينة دير الزور وهي بين العراق وسورية، وكان شأننا في تدير ماء الشرب في ذلك الطريق - الذي قطعناه في ١٨ ليلة في مركبات (عربات) سفريّة تسير على ضفاف الفرات لا تبعد عنه في بعض الاحيان الا قليلا - اتنا كنا كلما نزلنا منزلا في المساء نبادر الى تقطير الماء في قدور من الفخار ثم نبرده بهواء الليل الجاف البارد في أكواز (قلل) الماء البغدادية وفي قلة معدنية مغطاة بقماش يبلل بالماء فيبرد المعدن بضرب الهواء له ويبرد الماء



## ١١٥ القهوة في طريق مكة وحجاج الدكرور [ المنار: ج ٢ م ٢٠ ]

برده ، — وهذه القلة أهداها الي الطيب النظامي محمد عبد الولي في مدينة لكهنو بالهند — وكنت قبل الادلاج في آخر الليل املا الابريق المعهود من هذا الماء وترمسا آخر عموديا من النوع المعروف لكثرتة في هذه البلاد كان أهداه الي صديقي السيد يوسف الزواوي أكبر سروات مسقط بهديت السلطان فيها ، فكنت أشرب في بكرة النهار من هذا وأدخر ذاك الي العشي لانه أحفظ والتغير فيه أبطأ ، وقد انكسر العمودي معي في حماء ، ولا أسف عليه لان مثله كثير ، الا أنه أثر من صديق ، ثم انكسر الاول في مصر فألمني كسره لطرافته وفائدته ولكونه أثرا من ذلك السلطان الكريم سقى الله لحده ، ولكن نجله البر الوفي صديقي السيد نادر قائد الجيش الاول لسلطنة مسقط أهداه الي أبريقا آخر عوضا عنه ، وهو الذي كان معي في الحجاز وكان ما حملت فيه من الثلج كافيا لي بين جدة ومكة الا أن ماء قرية الجلد تغير في الطريق لأنها كانت بعيدة العهد بالاستعمال

وسبب حفظ الترمس لما يودع فيه مدة طويلة هو انه مؤلف من أناثين أحدهما وهو الظاهر معدني وثانيهما زجاجي باطنه كالمرآة وظاهره مفشي بمادة من المواد البطيئة التوصيل للحرارة والبرودة ويوضع الزجاجي في باطن المعدني منفصلا عنه ويكون الاتصال بينهما من أعلى الفوهة ولهذا الفوهة صمام ( سداد ) من الفلين على رأسه قطعة من معدنه الابيض ويكون فوقها غطاء المعدني المتصل به ، فاذا رفع الصمام قليلا أمكن صب الماء من بلبل الابريق

أطلت في مسألة الماء ليستفيد مما كتبت من يعنون بأمر صحتهم ورفاهتهم في السفر . والعناية بأمر الماء محمودة بل ضرورية ، فالأمر الرديء يكون سببا لأمراض كثيرة ، إذ الماء يحمل من جراثيم الأمراض والاورثة مالا يحمل غيره . وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأكل ما وجد ولا يذم طعاما ولكنه لم يكن يشرب من كل ماء يوجد بل كان يستعذب له الماء من آبار السقيا وهي على مسافة يوم من المدينة أو أكثر ، وكان أحب الشراب اليه العذب البارد . والماء الذي يوجد بين جدة ومكة في القهاوي — أي الاكواخ التي يأوي اليها المسافرين للاستراحة وشرب القهوة والشاي — كله قدر فلا أصله جيد ولا أوانيه نظيفة ، وماء ( بحرة ) التي ينزل فيها



[ المثار: ج ٢ م ٢٠ ] الاعتداء في الطريق . النزول ببحرة ١١١

جميع الحجاج للاستراحة ردي، غير عذب . ويقال ان بالقرب منها بنزا لا بأس بمائها ولكن لا يسهل الا على الاقلين الوصول الى شي منها . فمن الضروري للمسافر الذي يعني بصحته ان يحمل ما يكفيه من الماء بين جدة ومكة في سفره من كل منهما الى الاخرى . وللشقادف قتل من الفخار يربطونها في مؤخرتها فيكون ماؤها مقبولا ولا سيما في الليل

### القهوات في طريق مكة والذكرور

نزلنا بعد المغرب في أول قهوة من القهوات التي أشرنا اليها آنفا فأذنت وصليت المغرب والعشاء جمعا وقصرا وصلى معي الرفاق وشربت الماء المثلوج وشرب الرفاق القهوة وبعد أن استرخنا قليلا أعطيت صاحب القهوة ههم أضعاف المعتاد فدعا لنا ، وركبنا حمرنا وركب الجنديان هجانتهما ومريتا لا نرى من الحجاج في الطريق الا سودان الذكرور مشاة على أرجلهم رجالا ونساء وأطفالا يحمل الرجال حراهم والنساء أطفالهن على ظهورهن وما المدين من المتاع والزاد على رؤسهن ، وكنا نرى بعضهم نياما على جانبي الطريق ، فهم ينامون اذا تعبوا فاذا استيقظوا في أي ساعة في ليل أو نهار مشوا لا يخافون اللصوص ولا قطاع الطريق ، وقد قيل لنا انه لا يتعرض لهم أحد بسوء ، لانه لا يكاد يوجد معهم شي له قيمة يفتن به اللصوص من الاعراب هنالك فأكثرهم عراة لا يملكون من اللباس ما يزيد على ستر العورة ولباس جميع رجالهم ونسائهم الا بيض وهم مع ذلك يدافعون عن أنفسهم دفاع الابطال بحراهم السودانية فلا يستهان بهم مع كثرتهم ، فانهم منتشرون طول الطريق لا تبعد ثلة منهم عن أخرى الا قليلا ، واللصوص قلما يكونون كثيرين الا اذا كانوا يقصدون سلب القوافل الكبيرة

### أمن الطريق وحادثة اعتداء

وقد كان الطريق في هذا الموسم آمنا مطمئنا لم يبلغنا أنه وقع فيه اعتداء على أحد الا ما حدث بالقرب مما فانا سمعنا قبل انتهاء الثلث الاول من الليل صوت طلق رصاص استفز الحارسين الذين معنا فسأتهما ما هذا ؟ قالا « قوم » وهم يعنون بكلمة القوم اللصوص وقطاع الطريق ، وأشارا علينا بأن نسرع في السير ما استطعنا

وقصد قهوة كنا نرى ضوءها فنزل فيها ، وتركنا مسرعين بهجانها الى الجهة التي سمع منها صوت الرصاص ، وطفقنا نحن نلكرز حمرنا مسرعين بها الى تلك القهوة فبلغناها بعد جهد وعناء فاسترحنا فيها ساعة وشرب رفيقاي الجندي والمصري الذي الفيناها في الطريق الشاي ورأينا هناك أناسا من الفقراء يطلبون من القهوة طعاما . ثم جاء الجنديان مع رجل آخر . فأخبرا أن القوم (قطاع الطريق) الذين سمعنا صوت رصاصهم قد شردوا بعيرين للرجل الذي عاد معهما ولرفيق له وكانا عائدتين من جده بعد بيع ما كانا حملاه اليها وان خفراء الطريق ما زالوا يقتفون أثرهم ، وقال الرجل انه لم يره ورفيقه الا لصا واحدا ولكنه مسلح وهما أعز لان

### النزول ببحرة

وبعد استراحة الجنديين وشربهما الشاي أكرمت صاحب القهوة واستأنفنا السرى فبلغنا (بحرة) في منتصف الليل تقريبا ورأينا أنوار ركب المحمل المصري بالقرب من الخصاص التي يأوي اليها الحجاج وغيرهم من المسافرين. والخصاص جمع خص وهي البيوت من عيدان الاشجار أو القصب أو غيره من النبات، وهي هنالك كثيرة تسم الالوف الكثيرة من الناس وعلى جانبي الطريق سوق منها فيه الحوانيت والقهوات وان شئت قلت الخانات أو الفنادق لا يواء المسافرين فيجد المسافرون فيها الماء والخبز واللحم والبيض وأنواعا أخرى من الاغذية وقهوة البن والشاي ، والموسرون من المسافرين قلما يحتاجون الى شيء منها لانهم يحملون زادهم من جدة أو مكة لهم بأن ما يوجد هنالك غير نظيف ولا جيد . والخصاص التي وراء هذه السوق التي في الطريق العام عبارة عن دور يتألف كل منها من عدة بيوت يمكن ان يجعل بعضها للنساء وبعضها للرجال ولها امراحيض وراء المساكن . وقد نزلنا في قهوة كبيرة كنا أوصينا بالنزول فيها فاسترحنا فيها ساعتين كاملتين وكنا قد جمعنا فأكلنا مما نحمل من لحوم الضأن والدجاج والسماك والخضر والحلوى والفاكهة وشربنا الماء المثلوج وحمدت الله تعالى حمدا كثيرا . وأحييت أن أعرف أين نزل جماعتنا فمضت على ذلك

### السرى من بحرة ومسالة أمن الطريق

ولما اردنا استئناف السرى استأذنتي الجنديان في البقاء ببحرة لانهما يريدان

العودة صباحاً الى جدة ، وجاءني بجنديين عربيين من المشاة فقالا هذان من جنود سيدنا الموكلين بحراسة الطريق وهما يقومان مقامنا فسرنا ومشيا امامنا يحمل كل منهما بندقية من الماوزر على كتفه شادا منطقة من رصاصها المنضود في وسطه وهو حافي القدمين ليس عليه الا قميص قصير فسألت أحدهما عن أمن الطريق فقال ان الامن تام ولا خوف عليكم في الطريق ، قلت أرأيت اذا هجم علينا قوم كثيرون فإذا تغني عني أنت وصاحبك ؟ قال ان القوم الكثيرين لا يعتدون على الافراد أو الجماعة القليلة من المسافرين وانما يقصدون القوافل الكبيرة التي تحمل ما يحتاجون اليه من الطعام ونحوه ، والقوم القليلون لا يتجرأون على جنود سيدنا وان كانوا أقل منهم ، وفي الطريق على طوله مخافر متقاربة يمكن ايصال أنباء الاعتماد من بعضها الى بعض بسهولة . وحقا ما قال قاتا كنا بعد مفارقة جدة بقليل نرى تلك المخافر على جانبي الطريق وكثير منها في الروابي والهضاب وهي كثيرة متقاربة ، وكان هذان الجنديان كلما أبصرا أحدا في الطريق على مقربة منا أسرعنا اليه قبل وصوله الينا وعرفا حاله . وقد رأينا في طريقنا قبل بحرة وبعدها كثيرا من القوافل قاصدة جدة اما من مكة واما من الطائف وهي التي تحمل الفاكه كالرمان والعنب والسفرجل ، ورأينا ايضا كثيرا من الافراد والجماعات يقصدون جدة . وفي أثناء الساعة الثانية وصلنا الى قهوة استرحنا فيها قليلا واستأذنتي الجنديان بالتخلف وأوصيا جنديا كان هنالك بان يصحبني الى مكة ، وكانت المسافة قد قربت وعلمت منهما انهما جائعان وليس معهما شي ، فأعطيتهما ما تيسر من الدراهم

ثم أدلجنا وسألت الجندي عن حال الامن في تلك البقعة فقال ان هذه الارض أرض هذيل الذين أنا منهم وهم لا يسرقون ولا يعتدون على أحد وان ماتوا جوعاً بل يعيشون بمواشيهم وانما اللصوص وقطاع الطريق هم عرب الشمال . وبعد ان أصبحنا وصلنا الى مكان فذكر لي حادثة من الحوادث المثبتة لامانتهم قال مات في هذا المكان رجل من حجاج المغاربة يظهر انه كان مريضا فتمب في الطريق فتحول عنه الى هذا المكان للاستراحة فمات فيه وكان له ولد منفرد عنه وصل مكة فلم يجد والده فعاد ينشده في الطريق وكان بعض عربنا قد رأوا الميت ووجدوا معه كيسا



كبرا فيه تقود كثيرة فحفظوه ولما رأوا الولد دلوه على و- به تقوده وأعانوه على دفنه ولم يأخذوا من الكيس شيئا ونو شاءوا لا خذمه كله

وجملة القول ان العناية بحفظ لامن في هذا الموضع كانت كبيرة وانني لم أسمع من أحد من الحجاج شكوى اعتداء على نفس ولا مال، ولكن حدثني الوالدة بعد الوصول الى مكة المكرمة انه عرض لهم في الليل رجل ادعى أنه من الحجاج المصريين من المنصورة وأنه فقير لم يجد ما يركبه وكان يحاول أن يركب البعير الذي عليه اسقاطنا وصناديقنا فينهره أحد الجنديين اللذين مهمم بالكلام فيتحول قليلا ثم يعود، ولم ينصرف حتى هددته بالضرب واتهمه بأنه يريد ان يركب البعير ليشرده ويذهب به وأنه لا بد أن يكون له رفاق ينتظرونه . ويجوز ان يكون الرجل صادقا ولكن اساءة الظن في هذا المقام من الغفلة . والفضل الاول في هذا الامن الذي لم يسمع بمثله منذ قرون اشخص الشريف الحسين بن علي . (١) وقد كان السيد الزواوي قال لي منذ بضع سنين أنه لم ير أقدر من هذا الامير على حفظ الامن في الحجاز كله وسياسة العرب فيه بحث لغوي في الحجر والفهر والصخر

لم أستفد من حديث هذا الاعرابي الجندي ولا من حديث من قبله فائدة لغوية تذكر على اني اكثرت من الكلام مع هذا ما لم أكنز مع الآخرين ورأيتهم أفصح منهم وذكرت له أبحاثاً من الشعر العربي فرأيتهم لا يفهم جميع مفرداتها ولكنه امتحنني بالسؤال عن شيء أبيض في الجبل - ولون الجبل أسود بل أصهب - قلت أي شيء هو؟ قال ماهو مثل الشاة؟ - والغنم هناك أبيض اللون - قلت نعم . قال هذا فهر . وأقول إن المشهور في كتب اللغة ان الفهر الحجر الصغير الذي يؤخذ باليد ويدق به الجوز ونحوه ، وقال بعضهم الذي يملأ الكف ، وذلك الحجر كبير لا يمكن رفعه بيده واحدة ولذلك رجعت الى معاجم اللغة فرأيت في لسان العرب بعد تعريفه بما ذكرت أنفا « وقيل هو الحجر مطلقا » ومن العجيب انه قد فسر هو والفهر وزبادي الحجر بالصخرة ، والصخرة بالحجر العظيم الصلب . وهو تساهل أو تقصير في تحديد الماني . والصواب ان الحجر اسم جنس لهذه الاجسام المعروفة

(١) نهنا قبل على ان حوادث الرحلة حدثت قبل المباينة بالملك فبقى التعبير فيها على ما كان عند وقوعها



يطلق على صغيرها وكبيرها وعلى الصلب الشديد اليوسمة منها وغيره . وقالت العرب : استحجر الطين أي يبس فصار حجرا . والصخر ما عظم من الحجارة وأحدثه صخرة ، والحصى صفار الحجر وأحدثه حصاة وجمعها حصيات وحصى . قلها ابن صيده في المخصص ، وهذا ما يفهمه جميع الناطقين بالضاد من معنى الحجر والصخر والحصى . وقول اللسان في الفهر « وقيل الحجر مطلقا » على ضعفه لا يؤخذ على إطلاقه والذي ظهر لي من قول أهل اللغة ومن كلمة الأعرابي الهذلي أن أكثر العرب كانت تطلق الفهر على الحجر الذي يؤخذ باليد الواحدة للدق به والكسر أو الحذف والرجم ، وقليل منهم أطلقه على ما يؤخذ بكلمتا اليدين لبق شيء أو ضرب به ، وأكثر العرب تؤنث الفهر ، وورد تذكيره في حديث حمالة الخطب فأنها أخذت ففرا وجاءت لتضرب به النبي (ص) فلم تره فقالت لابي بكر (رض) - وهو معه - : لو وجدت صاحبك لشدخت رأسه بهذا الفهر . نقله شارح القاموس بهذا اللفظ عن الروض . قال صاحب الحمزية :

وأعدت حمالة الخطب الفهر ر وجاءت كأنها الورقة  
يوم جاءت غصبي تقول في مثلي من احمد يقال المهجاء  
وتولت وما رآته ومن أب ن ترى الشمس مقلة عمياء

### قهوة سالم

وقد بلغنا قهوة سالم مصبحين وهي في حدود الحرم على مقربة من مكة - وكنا مررنا ليلا بالعلمين المنصوبين لحدوده - فصلينا فيها صلاة الفجر ثم لم أملك نفسي من التعب والنعاس أن اضطجعت فذمت حتى طلعت الشمس . وكنت عازما على الاغتسال في هذه القهوة لدخول مكة عملا بالسنة وسألت في جدة وفي الطريق عن مكان يمكنني أن أغتسل فيه فقبل لي قهوة سالم ، ولكنني خشيت على نفسي المرض من الاغتسال وقتئذ بالماء البارد مع شدة الأعياء فاكفيت بالوضوء . ورأيت أن أمشي ميلا أو ميلين لتأين عروق رجلي ووركي وأعصابهما المتعبة من طول الركوب الذي طال علي عهده ففعلت وضائعتي دخول الرمل في نعلي فشيت حافيا ضاحيا (أي بارزا للشمس) كسودان المذكور الذين كنت أراهم أمامي وخلفي وهن بميني وبمالي منذ خرجت من جدة إلى أن دخلت مكة

## ١١٦. أسرى الترك . وفد الأمير لاستقبال العبد الفقير [المنار : ج ٢ م ٢٠]

## أسرى الترك

ولما قربنا من مكة وظهرت لنا ضواحيها رأينا أسرى الترك الذين أسره العرب في الطائف خارجين منها مشاة في الطريق اليسرى مرسلين الى جدة يخفرونهم قليل من الجنود الاعراب ، وفي اليوم الثاني من دخولنا مكة رأينا فيها ضباطهم ركوباً على الابل متلفعين لا ترى الا أعينهم وأنوفهم وهم مرسلون الى جدة يخفرونهم قليل من جنود الاعراب المهجانة وكان قد بلغنا في جدة خبر فتح الشريف الأمير عبد الله للطائف بمد ان حاصرها عدة أشهر وتسليم قائد الحامية التركية غالب باشا الذي كان والي الحجاز له وفد الأمير لاستقبال العبد الفقير

ولما بلغنا قهوة المعلم وهي آخر قهوة بين جدة ومكة رأيت صديقنا الاستاذ الكبير السيد عبد الله الزواوي مفتي الشافعية بمكة المكرمة مع بعض ولده وبعض المكين فأقبل لاستقبالنا ونزلت عن دابتي فتعاطنا وتصافحنا وجلسنا للاستراحة وبعد السلام قال لي ان هذا الوقت هو وقت دخول سيدنا الشريف عبد الله نجل سيدنا الأمير مكة قادماً من الطائف بعد ان تم فتحها على يديه وقد أعد له احتفال كبير وخرج سيدنا بجميع الشرفاء والوجهاء ورجال الحكومة الى خارج البلد لاستقباله ، ولما علم بأن قدومك يتفق في هذا الوقت أوفدني من قبله لاجل استقبالك وأرسل اليك بغلته هذه مع من ترى من حجاب سيادته لتدخل عليها مكة - وأشار الى بغلة دهماً مشدودة مع حاجبين أبيضين اللون بثياب حر كالثياب التي يلبسها قواصة وكلاء الدول - ولو جئت قبل هذا الموعد لرأيت من العناية باستقبالك ما يسرك ولكنك معنا الآن في استقبال صديقك سيدنا الشريف عبد الله ، ولدخلت بك مكة من الطريق التي دخل منها سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقابلت هذه العناية الهاشمية بالشكر والثناء وخالص الدعاء . هذا واتي كنت عازماً عند الوصول الى جدة ان أكتب الى هذا الصديق الوفي أكلفه أن يستأجر لي ولن ممي داراً ننزل فيها ولكنه كلمني بالسرعة (البلغون) من مكة فقال ان سيدنا الأمير أعزه الله قد أمر باعداد منزل لك مؤلف من دائرتين احدهما للرجال والاخرى للنساء وفيه جميع ما يحتاج اليه من الاثاث والماعون والخدم وهو بهرب الحرم الشريف . وعلمت من هذا الصديق انه كان يتمنى أن ينزل في داره

ضيوقا عليه لو لم يتفضل (سيد الجميع) بتشريفا بضيافته السنية الهاشمية وقد تذكرت الآن - والشّيء بالشّيء - يذكر - ان صديقي السيد يوسف الزواوي كبير تجار مسقط وسرواتها - الذي مر ذكره في هذه الرحلة وهو من آل هذا البيت - كان قد كتب الي وأنا في بمباي ثغر الهند الاول سنة ١٣٣٠ يقول انه بلغه انني عازم على زيارة مسقط ويدعوني الى النزول في داره ولم يكن يعلم أن سمو سلطانها السيد فيصل رحمه الله وطيب ثراه قد أمر مندوبه في بمباي بدعوتي الى ضيافته وبأن يخبره عن يوم سفري بالبرق (التلغراف) فلما جئت مسقط ونزل السيد الى الباخرة مع من نزل من ولد السلطان وحاشيته في زورقه البخاري لاستقبالني فيها أخبرني بما كان تمناء واستعدله من حسن الضيافة لولا ان سمو السلطان نفس عليه بذلك وقال له أنت تنتظر مثل قدوم فلان على بارنا وتريد ان تستأثر بضيافته من دوننا ؟ ولكن السيد يوسف أحسن الله اليه أدب لي مأدبة عظيمة في نفس مسقط دعا اليها جميع كبرائها ووجهائها رمأدبة أعظم وأخف منها في دار له بمزرعة في ضواحي مسقط دعا اليها كبراء مسقط ووجهاء البلاد المجاورة لها حضرها عشرات منهم ققضينا معهم يوما كاملا من أطيب أيام الحياة ذكرناهم فيه بآيات الله فألفينا آذانا صاغية وقلوبا واعية . وكذلك الاستاذ السيد عبد الله حياه الله تعالى فإنه أدب لنا عدة مآدب فخمة ، حضر بعضها أهل العلم والوجاهة من حجاج المغاربة ، وسبجيء ذكر هؤلاء المغاربة في هذه الرحلة

### ﴿ دخول مكة المكرمة والطواف والسمي ﴾

بعد ان استرحنا قليلا ركبت البغلة التي تفضل بارصاها الي سيدنا الامير ، ومشى أمامي حاجباه وركب السيد الزواوي فرسه اللينة السبر ونجمله السيد عبد الرحمن دابته وسارا الى جانبي ، وركب مطوف بلدنا (طرابلس الشام) الشيخ محمد الحريري ونجمله دوابهما وسارا ورامانا ، فلما دخلنا مكة ومررنا في أسواقها جعل الناس يقومون علي الجانبين تكرما لمن كرم أمبرهم ومقدمهم من الملكة ، وان كانوا لا يعرفون شخصه ولا صفته ، حتى اذا ما بلغ السبر بنا بيت الله الحرام ، دخلناه ومررنا فيه من باب



## ١١٨ الطواف والسعي والرمل فيهما [المأثور: ج ٢ م ٢٠]

بني شيبه<sup>(١)</sup> حيث دخله سيد الرمل عليه أفضل الصلاة والسلام ، فلما وقعت العين على الكعبة المعظمة ، التي كساها الله تعالى حلل المهابة والعظمة ، قلت كما كان يقول عمر بن الخطاب عليه الرضوان : اللهم انت السلام ومنك السلام ، فحينما ربنا بالسلام . وقفيت على ذلك بالدعاء الذي ورد ، وان لم يصح به السند ، : اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة ، وزد من شرفه وكرمه ممن حججه أو اعتمره تشريفا وتعظيما وتكريما وبراً .

وظفت طواف القدوم والعمرة سبعة أشواط ، وطاف بهي مطوفنا رافعا صوتا بما يحفظه من الثناء والدعاء — وهو ما اعتاد المطوفون تلقينه للحجاج — وأنا أدعو وأثني بما أعلم وما أهتم . وقد ذكرني المطوف بما كدت اذهل عنه من الرمل في هذا الطواف ، وما يسر فيه من كشف المنكب الذي يكون بالاضطباع ، وبعد الطواف صليت ركعتين وشربت من ماء زمزم ، ثم خرجت من باب الصفا لاجل السعي بين الصفا والمروة ، كنت أحب أن أطوف بالصفا والمروة ماشيا ولكن السعي بينهما سبع مرات غبارة عن قطع ثلاثة كيلو مترات مشيا وذلك ما كنت أعجز عنه في ذلك الوقت لما عرض لوركي من التعب والالام من الركوب عامة الليل على حمار غير فاره لولا الإشتاق له طول الطريق لحسرت بي مرارا ، ولم ثني ركبتيه للركوع ، ومنعه جذبي الرسن من السجود ، فسمعت راكبا على البفلة وهو جائر ورملت بها في موضع الرمل وهو ما بين الميادين ( الممودين ) الاخضرين الناتئين من جدار الحرم . وقد بينت في المناسك ان جميع مناسك الحج قد شرعها الله تعالى على لسان ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام الا الرمل في الطواف والسعي فانه من آثار نبينا صلى الله عليه وسلم فعله مع الاضطباع وهو عبارة عن كشف المنكب الايمن واظهاره ليظهر قوة المسلمين للمشركين في عمرة القضاء ، اذ كان بلغه انهم قالوا ان محمدا وأصحابه لا يستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزال ، وكان بلغه عنهم في الحديبية انهم قالوا

( ١ ) هو الآن في صحن الحرم كأنه قوس منصوب وبقائه في جدار الحرم الشرقي بابان يسمى أحدهما باب العباس والثاني باب علي وفي وسط هذا الجدار الباب الذي يسمونه باب النبي (ص) يليه في الجانب الشمالي باب السلام الذي يدخل منه أكثر الحجاج

[ المنار : ج ٢٠ م ٢٠ ] الحالة الروحية عند أداء المناسك ١١٩

في المؤمنين : أوهنتهم حمى يثرب

وبعد السعي عدت إلى دار السيد الزاوي إجابة لدعوته ففروا بي من طريق آخر وحجاب الأمير أمي والكثيرون من الناس يقفون في دكاكينهم وفي الطريق من الجانبين فأحييهم بالسلام وبالإشارة حتى إذا ماجت الدار أعد لي ماء للاستحمام فاغتسلت وتفديت مع السيد وولده ونمت وكلن الحر قد اشتد فلم أنم الا قليلا . وقد أتني السيد متى تحب أن أذهب بك لزيارة سيدنا الأمير ؟ فقلت له اتني كنت محرما بالعمرة وقد أدبت طوافها وسعيها وسأقصر شعري وأتحلل منها ، ولكن ثيابي مع الوالدة والرفاق فتى وصلوا ألبس ونذهب ، ورغبت اليه في الذهاب الى الدار المعدة لنا لاجل انتظارهم فيها ، ولما جئت الدار وجدتني على الشارع العام بمجوار باب الحرم الغربي الكبير المسمى بباب إبراهيم ، وقد تأخر وصول الجماعة الى قرب المغرب فلم تنتشر فبتلك الزيارة الا ليلا ، وسأذكر لقاء الأمير وثمانته في فصل آخر ،

### ﴿ الحالة الروحية عند أداء المناسك ﴾

#### وحكم التلبية والطواف والسعي

الحج عبادة روحية جسدية اجتماعية فهو تربية عالية للانسان منفردا ومجتما . أي تربية كاملة له ، فان الانسان مركب من جسد وروح ، وقد خلق لعيش مجتمعا ، وفي الحج تقوية لجسده ولروحه ولرابطه الاجتماعية . أما كونه رياضة بدنية مقوية للجسد فظاهر في جميع المناسك فالاحرام ضرب من الرياضة والسفر كذلك قد وصفت لك أيها القارئ سفري من جدة الى مكة ، وعلمت بالاجمال ما قاسيت فيه من المشقة ، مع استكمال أسباب الراحة وقرب الشقة . وفي الطواف والسعي رياضة المشي التي يصف الأطباء نفعها ويوصون بها ، فدائرة المطاف حول الكعبة المعظمة لا يقل متوسطها عن مئة متر وأقل الطواف سبعة أشواط ( مرات ) ومن الناس من يطوف في اليوم واليلة أسابيع كثيرة متصلة ومنفصلة ، أما أنا فلم أستطع أن أزيد على سبعة أسابيع في أمثل الاوقات وأعدلها وهو وقت

## ١٢٠ الحالة الروحية في طريق مكة والتلبية [ المنار: ج ٢ م ٢٠ ]

السحر، لما كنت عليه من ضعف البدن، وكان رفيقي وأخي في الله الشيخ خالد يطوف ضعفي ذلك أو يزيد. وإذا كان أقل الطواف وهو أسبوع عبارة عن مشي ثلاثة أرباع الكيلو فان السعي بين الصفا والمروة سبع مرات يقرب من مشي ٣ كيلو وأما كونه مقويا للروابط الاجتماعية فلما فيه من التعارف والتآلف بين الشعوب المختلفة في أفضل بقاع الأرض وفي أحسن الأحوال التي يكون عليها الإنسان في هذه الحياة وهي التجرد من شواغل الدنيا والتوبة إلى الله تعالى من جميع المعاصي والآثام وأما كونه عبادة روحية مهيبة للنفس بتقوية شعور الإيمان فهو المقصود بالذات الذي يجب أن يتحرى وينوى ويلاحظ عند كل عمل من أعمال المناسك، وهالك خلاصة وجيزة من العلم والاختبار في ذلك :

### الحالة الروحية في طريق مكة . وتأثير التلبية

كنت قبل عودة المشيعين لي من جدة ألبى في السر قليلا ، وأتسكلم معهم كثيرا ، فلما عادوا وولى النهار بأنسه وبهائه ، وأقبل الليل بوحشته وظلمائه ، هدأت المشاعر ، وقرت النواظر ، وخشعت السرائر ، وزاحمت الخواطر ، فكان الغالب منها على الفكر والقلب ، ما يثيره تأثير الزمان والمكان وزيت الحرام في النفس ؛ فأما الزمان فهو شهر ذي الحجة الحرام ، وأما المكان فهو الطريق إلى بيت الله الحرام ، وأما زيت الحرام فهو الذي كان ينزيتا به إبراهيم خليل الله ، وإسماعيل ذبيح الله ، ومحمد خاتم رسل الله ، وغيرهم من رسل الله الكرام ، عليهم الصلاة والسلام ، وكل من حج البيت أو اعتمره من أصحابهم وأتباعهم هداة البشر ، فيالها من ذكرى لذي اللب ، ينجش لها القلب ، ويرجى بها رضوان الرب ، بما تثمره من قوة الإيمان ، وطهارة الوجدان ؛ وخلوص السر والاعلان ؛ ولو لم يقترن بها ذكر لسان ، ولا عمل أركان ، فكيف اذا صاحبها تكرار التلبية ، التي تزيد حرارتها تذكية ؛ وإخلاصها تزكية : لبيك اللهم لبيك لبيك ، لا شريك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

تأملت نفسي في تلك الليلة الليلاء ، والطريق الجرداء ، فأرأيتني حاسرا حافيا في أزار ورداء ، غير مبالي بما يكون من تأثير الهواء ، وهي حال لم أعهد لها في سالف



الايام ، الا بين 'جدر' الحمام ، وقد كان الهواء عند خروجنا من جدة حارارطبا ، وكانت الدابة وهي في أول السير تنهب الارض نهبا ، وهذه ثلاثة أسباب ، يتفصد بها المرق من الإهاب ، ثم كنا كلما أوغلنا في السرى ونغلطنا في البيداء ، نشعر بجفاف الجو وبرد الهواء ، حتى اضطررت الى اخراج سجادة صلاة كانت تحتي ، فوضعتها على عاتقي فلم تنفني عني ، فأخرجت العباءة فتلفتت بها ، جاعلا لاجل الاحرام أعلاها أسفلها ، ولم أخف من أذى يصيبني من برد الليل ولا ضرر ، ولم يعرض لي سأم من طول السرى ولا ضجر ، فان مسني طائف من شيطان الوسوسة : ذكرت الله تعالى فطرده بالتلبية : لبيك اللهم لبيك لبيك ، لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

ويا لله ما أحلى التلبية في تلك الغلوات ، وما أعظم الانس بها في حنادس الظلمات ، اذا خشعت بها الاصوات ، واستمطرت بها العبرات ، ومن دقائق حكم الشرع استحبابه رفع الصوت بها للرجال ، وتجديدها بتجدد المناظر واختلاف الاحوال ، فرفع الصوت بها ينفي الوسواس ، واذا كان في الليل يطرد النعاس ، وهو أجلب للخشوع ، واذرف الدموع ، واستثناها عند اختلاف الاحوال وتجدد المناظر ، أدعى الى دوام الذكر وعدم تفرق الخواطر ، فكنت كلما علونا نجدا ، أو هبطنا غورا ، أو نزنا مكانا ، أو استأنفنا سرائنا ، أو لقينا مشاة أو ركباناً ، جأرت الى الله تعالى : لبيك اللهم لبيك لبيك ، لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

#### تأثير رؤية الكعبة والطواف بها

تلك التلبية تملأ قلب متدبرها إيمانا وتوحيدا ، وتجرده من الحظوظ والاهواء تجريدا ، وتعد زيارة بيت الله والطواف ، وهو في أحسن حال وأنتم استعداد ، حتى إذا اكتشفت عينه برؤية الكعبة المعظمة ، وراعى القلب ما جلها من المهابة والعظمة ، تذكر أنها أول بيت وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين ، وخصه الله بالآيات البينات الباقية على بقاء الايام والسنين . ورأى أمامها مقام ابراهيم عليه وعلى نبينا وآلها الصلاة والسلام ، ووجد نفسه حيث كان بدء دين الله الاسلام وحيث الختام ، فاذا دنامن مهيط الروح الامين ، ومطاف الملائكة والنبين ، والصديقين والشهداء والصالحين —

## ١٢٢ تأثير رؤية الكعبة والطواف بها [ المذلة: ج ٢ م ٢٠ ]

فلانسئل ثم عن السموع كيف تنسكب ، وعن الصلوع كيف تضطرب ، وعن الاعناق كيف تخضع ، وعن القلوب كيف نخشم ، ولا عن وجدان الايمان ، كيف يتألق نوره في الجنان ، ويفيض بيانه على اللسان ، فيجركه بما يلهم من الثناء ، وما يشمر بالحاجة اليه من الدعاء ، وما يذكره أو يذكر به من المآثور ، من مرفوع أو موقوف ، لا تسئل أيها القارئ من شيء من ذلك ، ولا عن غيره مما يكون عند أداء المناسك ، فمن ذاق حرف ، ومن حرم انحراف

على هذه الحال تدخل الحرم المقدس ، طاهر القلب والبدن من الحدث والدنس ، فتأتي الركن الاسود ، حيث العظمة والسودد ، فتقول بسم الله الله أكبر ، فيصغر في قلبك كل شؤون البشر ، ثم تبدأ الطواف ، مع النية والاخلاص ، بالمسح الحجر وتقبيله ان قدرت ، وبالإشارة اليه ان أنت عجزت ، ولا بأس بأن تذكر ما روي من انه رمز الى يمين الله التي لا تشبه الايمان ، وان استلامه وتقبيله في معنى تحية رب البيت ومبايعته على الايمان والاسلام والاحسان ، ومن أنه يشهد لمستلمه يوم القيامة كما تشهد الاعضاء - وبأن تقول بلسانك أو قلبك ، كما قال أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب من قبلك : انني أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبلك <sup>(١)</sup> لما قبلتك ، فتقبيلك ليس لذاتك الحجرية ، ولا لمنفعة فيك مرجوة أو مفسدة مخشية ، ولا هذا الطواف الذي بك يبتدأ وعندك ينتتم ، في معنى عبادة الوثن وتعظيم الصنم ، وإنما هو خضوع لامر الله ، واقتداء برسول الله ، وتعظيم لما عظم الله ، وأنس بالقرب مما نسب الى الله ، يكمل به توحيد الله ، وتنمي به محبة الله ، فمن شأن المحبين الانس بكل ما ينسب الى المحبوب ، ولا سيما اذا تعذر اللقاء وعز الوصول ، وكم نظموا من الاشعار ، في الوقوف بالاطلال والطواف بالآثار

أمر على الديار ديار ليسلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

ولما كان الرب العلي العظيم ، الجدير بأعلى مراتب الحب والتعظيم ، لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ، ولا يراه عباده في هذا الدار ، كان من رحمته بالموثمين المهين ،

(١) عبارة عمر ولولا اني رأيت رسول الله (ص) بقبلك الخ رواه الجماعة كلهم

## [ المنار : ج ٢ م ٢٠ ] تأثير السمي بين المروتين وحكمته ١٢٣

أن وضع هذا البيت للطائفتين منهم والعاكفين ، ونسبه اليه ، ليكون تعظيمه تعظيماً له ،  
فاذا مضيت في الطواف يمينا مصاحبا لهذه الذكري ، جاعلا البيت من الجهة اليسرى ،  
فاشغله بالتأمل على الله والدعاء لنفسك . ولا لك وصحبك ، ولا مثلك وأولي أمرك ، فاذا  
بلغت الركن اليماني ، وهو الجنوبي الغربي ، فاستلمه إن سهل عليك فانه على قواعد  
ابراهيم ، التي ذكرها الله تعالى في القرآن العظيم ، ومتى انتهيت الى مقابله وهو  
الركن الاسود ، فقد أتممت من طوافك الشوط الاول ، وبقية الاشواط مثله في  
الشروط والآداب ، كالخشوع والتذكر وترك غير الضروري من الكلام ، وعدم  
التهافت على استلام الركن والحجر عند الزحام ، فاذا أتممت السبعة الاشواط ، فاختم  
دعائك بين الركتين بقوله تعالى ( ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا  
عذاب النار ) ثم صل ركتين سنة الطواف ، والافضل ان تصليهما وراء المقام ،  
تأثير السمي وحكمته .

السمي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة ، وليس له نفل فلا يفعل في  
كل منهما أكثر من مرة ، ويجب ان يكون بعد الطواف ، ولا يشترط فيه شروط الصلاة .  
فاذا جئت الصفا ، فاقرأ كما قرأ الرسول ( ان الصفا والمروة من شعائر الله ) وقل كما قال  
« نبدأ بما بدأ الله » ثم اصعد درجة أو أكثر واستقبل البيت الحرام ، فاذا رأيته قل  
كما كان يقول عليه الصلاة والسلام : « لا إله الا الله وحده لا شريك له . له الملك  
وله الحمد وهو على كل شيء قدير » لا إله الا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ،  
وهزم الأحزاب وحده » وادع الله تعالى مكررا ذلك ثلاث مرات .  
وتذكر عند السمي أنه ذكرى سعي جدتنا السيدة هاجر عليها الرضوان ، أم آيينا  
اسماعيل عليه الصلاة والسلام ، وعلى أبيه ، وصفوة بنيه . وإلهام من ذكرى لمجد  
العرب الكرام ، ومعجزات الاسلام ، مثبتة لحفظ الله تعالى لهذه الملة ، وهمايته بهذه  
الامة ، حفظتها العرب بالعمل المتواتر . وكما حفظت ما هو دونها من المآثر . وما يحفظ  
بالتمثيل والمحاكاة ، يكون أثبت مما يحفظ بالتلقين والروايات ، ولكنهم مزجوا مناسك  
الحنيفية ، بخرافات الوثنية ، فان كانوا قد وضعوا صنمين على الصفا والمروة ، فقد  
وضعوا ٣٦٠ صنما على الكعبة ، ثم طهر الله تعالى هذه البقاع بالاسلام ،



## ١٢٤ حديث وضع إبراهيم اسماعيل وأمه في الحمجاز [المنار: ج ٢ م ٢٠]

وأعادها الى ما كانت عليه في عهد ابراهيم واسماعيل عليهما وآلهما الصلاة والسلام،  
 روى البخاري وغيره من طريقين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما كان  
 بين ابراهيم وبين أهله ما كان<sup>(١)</sup> خرج باسماعيل وأم اسمعيل ومعهما شاة<sup>(٢)</sup> فيها  
 ماء ، فجعلت أم اسمعيل تشرب من الشاة فيدر لبنها على صبيها حتى قدم مكة فوضعها  
 تحت دوحة — زاد في الرواية الاخرى فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة  
 يومئذ أحد ولا بها ماء ووضع هدهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء — ثم رجع ابراهيم  
 الى أهله فاتبعته أم اسمعيل حتى لما بلغوا كداء نادته من ورائه يا ابراهيم الى  
 من تركنا ؟ قال الى الله ، قالت رضيت بالله — وفي الرواية الاخرى أنها قالت  
 اذا لا يضيعنا ، وفيها أنه لما كان عند الثنية أي ثنية كداء حيث لا يروونه استقبل  
 بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال (ربنا اني أسكنت من  
 ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من  
 الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ) قال فرجعت فجعلت  
 تشرب من الشاة ويدر لبنها على صبيها حتى لما بقي الماء قالت لو ذهبت فنظرت  
 لعلني أحس أحدا — زاد في الرواية الاخرى حتى اذا نفذ ما في السقاء (أي الشاة)  
 عطشت وعطش ابنها فجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية ان  
 تنظر اليه — (قال) فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت هل تحس أحدا فلم  
 تحس أحدا ، فلما بلغت الوادي سمعت وأت المروة ففعلت ذلك أشواطا ثم قالت لو  
 ذهبت فنظرت ما فعل يعني الصبي فذهبت فنظرت فاذا هو على حاله كأنه ينشغ<sup>(٣)</sup>  
 للموت فلم تقرها نفسها فقالت لو ذهبت فنظرت لعلني أحس أحدا ، فذهبت فصعدت

(١) أهله امرأته سارة غارت من هاجر لما ولدت وحملته على طردها مع طفلها اسماعيل . وفي الفصل ٢١  
 من سفر التكوين (التوراة) ان ابراهيم استاء من كلامها فأمره الله تعالى بإخراجها ووعدته بأن يجعل  
 اسماعيل ابنه أمة ، وفيه انه زودها جحر بئير وقرية ماء وأعطاهما ابنها فتاهت في بركة بر سبع وانه  
 لما نفذ ماؤها وتوهمت أن يموت ولدها ، ناداهم ملاك الرب وأراه الماء ووعدته بجعل ابنها أمة  
 عظيمة . وان الله كان مع الغلام وانه سكن بركة فاران . أقول وفاران من أسماء مكة كما في  
 معجم البلدان وما يخالف هذه الرواية مما هنالك نعدته تحريفاً . وقالوا ان ابراهيم جاء مكة على البراق  
 (٢) بفتح الشين والنون المشددة القرية اليابسة (٣) بوزن يفتح معناه يشغ من صدره

[المآثر: ج ٢ م ٢٠] سبب خروج ماء زمزم وحكمة السمي بن المروتن ٢٣٥

الصفا فنظرت ونظرت فلم تحس أحدا حتى أنمت سبما — زاد في الرواية الاخرى قال ابن عباس قال النبي (ص) « فذلك سمي الناس بينهما » ثم قالت لو ذهبت فنظرت ما فعل فاذا هي بصوت فقالت أعتان كان عندك خير فاذا جبريل — وفي الرواية الاخرى فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث، فاذا هي بالملك عند زمزم — قال فقال بعقبه هكذا وغمز عقبه على الارض قال فانشق الماء فدهشت أم اسمعيل (١) فجملت تحفر (قل) فقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « لو تركته كان الماء ظاهرا » — ولفظ الرواية الاخرى « يرحم الله ام اسماعيل لو تركت أو قال لو لم تعرف من زمزم لكأت زمزم عينا معينا » أي جاريا على وجه الارض — (قال) فجملت تشرب من الماء ويدربنها على صبيها قال فرأس من 'جرهم بطن الوادي فاذا هم بطير — وفي الرواية الاخرى : فرأوا طائرا عاثفا أي يحوم على الماء — كأنهم أنكروا ذلك وقالوا ما يكون الطير الا على ماء فبعثوا رسولهم فنظر فاذا هم بالماء فأتاهم فأخبرهم فأتوا اليها فقالوا يا أم اسمعيل أتأذنين لنا أن نكون معك أو نسكن معك — وزاد في الرواية الاخرى فقالت نعم ولكن لاحق لكم في الماء ، قالوا نعم ثم قال مصرحا بالرفع « فترلوا وأرسلوا الى أهلهم فترلوا معهم حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجته امرأة منهم ». اه المراد منه ويليه ذكر عودة إبراهيم الى مكة لتفقد تركته أي ما تركه فيها وخبر بنائه البيت . وجرهم كفقد هو ابن قحطان ولكن رجح الحافظ ان قحطان نفسه من ذرية اسماعيل

فهذا حديث صرح فيه ابن عباس بما يدل على رفعه كله وان لم يسنده الى النبي (ص) في أوله ، وفيه نص صريح في بيان حكمة جعل الصفا والمروة من شعائر الله التي يحيا شعور الايمان بها ، ووجوب التطوف بهما والسعي بينهما . فانه تمثيل يذكر بتلك الواقعة التي هي من أكبر آيات الله ومظاهر قدرته ، وعنايته بتلك السيدة العظيمة القوية الايمان به والاتكال عليه والثقة به ، وبولدها الذي أراد سبحانه ان يباركه ويجعله أمة عظيمة ، كما هو منصوص في سفر التكوين من أسفار التوراة القديمة ، وأي شيء أجدر بأن نتذكره هنالك ونمثله كما وقع لاجل الاعتبار به ، واحياء شعور الايمان بتصوره ، من رضاء

(١) قوله فقال بعقبه هكذا أي فعل . وقوله ودهشت ففتح الهاء والدال ولا يذر بكسر الجاء

## ١٢٦ تسخير الله للناس لمجاوري بيته استجابة لدعاء خليله [ المنار : ج ٢ م ٢٠ ]

أم مرضع بأن تقيم مع طفلها منفردين بعيدين عن العمران، في واد غير ذي زرع ولا ماء، لأن الله تعالى قد أمر بذلك أبا ولدها الذي لقنها الإيمان، ورأت ما أيده الله به من الآيات البينات، وكيف نصره وحده على قومه المشركين الظالمين الأقوياء؟  
أليس تمثيل حال تلك الأم جائحة ظامئة، والهة حائرة، وشاهد طفلها يتلوى ويتمرغ، من شدة الجوع والظما، ويضرب بنفسه الأرض كلما صاب بالهرع، وينشع أي بشق من صدره للموت في ذلك القفر، فيسوقها ذلك الألم إلى الفرار من رؤيته بتلك الحال، والسعي بين ذينك الجبلين القرييين من ذلك المكان، تصعد هدامة وتلك أخرى، ضارعة إلى الله راجية أن نجد من عنده غوثا، حتى إذا ما انتهت من الشوط السابع أرسل الله تعالى روحه الأمين الذي يؤيد به الأنبياء، فأنبع لها ذلك الماء، وجعل فيه الري والغذاء، ثم ساق ذلك الركب من جرم إليها، وسخرهم للإقامة عندها، ليتربي فيهم ويتذراهم ولدها، ثم يجعله أصلا لهذه الأمة الكريمة، ويجعل ذلك الوادي القاحل صدفة لدرة الكعبة البثيمة، إذ جعله بلدا يحفظ دينه الذي جعله مثابة للناس وأمانا، وجعل قلوب الناس تهوي إليه من جميع الاقطار إيمانا ونسكا، ورزق أهله من الثمرات، وسخر لهم البشر في كل زمان، ألسنا نرى في هذا العام معجزة من معجزات هذا التسخير؟ بلى وقد ابتلى في هذا العام وما قبله الأمم الغنية القوية، المتصرفة في البلاد العامرة الخصبية الفنية، بشي من الخوف والجوع ونقص من الأموال والنفوس والثمرات، بهذه الحرب الأوروبية التي تقطعت به الروابط وقلت المواصلات، واقتضى دخول الدولة العثمانية في غمراتها، أن تضرب الدول المحاربة لها حجرا بحريا على جميع سواحلها، فكان الضيق على سكان حرم الله تعالى ألما شديدا، حتى إذا ما أوشك أن يفتك بهم الموت جوعا، سخر الله تعالى لهم تلك الدول تحمل اليهم الاقوات والأموال، وتنقل اليهم وفود الحجاج، وأراهم بهذه الاغاثة العامة، مثالا لتلك الاغاثة الخاصة، أعني اغاثة هاجر وإسماعيل، استجابة لدعاء الخليل، ( فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات ) وكثيرا ما ذكرت الناس بذلك، في أثناء أداء المناسك،

فنسعى بين الصفا والمروة علما بما ذكر متذكرا له معتبرا به، فانه يشعر في قلبه بنهاه الإيمان بالله وبرسل الله، ويفهم سر قوله تعالى ( ان الصفا والمروة من شعائر الله )



[المنار: ج ٢ م ٢٠] اقتراح اصلاحي - تعاون المتصمين بالسنة ١٢٧

### باب الاخبار والآراء

#### ﴿ اقتراح عظيم في الاصلاح الاسلامي ﴾

يود بعض الموسرين من المستمسكين بمروة الكتاب والسنة، لو يعرفون أمثالهم من الفقراء والمساكين المتجنين للمعاصي والبدع، المحافظين على الفرائض والسنن، ليؤدوا اليهم ما يجب من زكاة المال وزكاة الفطر وغيرها من الصدقات، إذ لا تطيب أنفسهم اصرفها الى فاسق ولا مبتدع ولا مجهول الحال، لما يعلمون من فشو البدع والضلال، وكثرة المعاصي والنفاق، دع المجاهرة بالكفر والانحاد، فالصدقات المفروضة التي يتقرب بها الى الله تعالى لا قامة دينه، يتحرى صرفها الى من ينفعها في طاعته، أو فيما أباحه لعباده من الطيبات، لا في المعاصي والمحرمات، ولا في البدع والخرافات، فإذا كانت صدقة التطوع يجوز بذلها لكل مؤمن وكافر، من ذمي أو مستأن، أو مهادد، فصدقة الفرض ليست كذلك. اذ لك اقترح علينا بعض هؤلاء الموسرين أن نحصي من نعرف ومن يتيسر لنا أن نعرفهم من المؤمنين المدعين المتصمين، من فريق الموسرين وفريق المستحقين للزكاة من الفقراء والمساكين، والمؤلفة قلوبهم والغارمين، ومن يلم بادارة المنار من أبناء السبيل، وأن نكون واسطة التعارف والتعاون بين الفريقين، لان وقوف كل فرد من الموسرين على هؤلاء المستحقين متعذر، وان منهم من تعدد تأخيرهم الزكاة هن وقتنا زمنا طويلا أو قصيرا لاجل ذلك. ولعمري ان هذا اقتراح جليل، ولكن القيام به على حقه عسير غير يسير، وإذا علم الناس ان بعض الناس يعطون صدقاتهم لمتجنب كائر المعاصي والبدع، المحافظين على الفرائض والسنن، يكثر المدعون لذلك وحاملوا الشهادات من العلماء والوجهاء على صحة دعواهم، وأخذ الشهادات على هذا سهل على أكثر الناس في هذا العصر، فان كثيرا من محبي الصدق يستحلون أن يشهدوا لمن يدعي مثل هذه الدعوى اذا كانوا لم يروا منه ما يصدقها ولا ما يكذبها، وأما غيرهم فلا يتحامي شهادة الزور وقول الباطل في ذلك، ومنهم من يرى أنه يتقرب به الى الله تعالى بمساعدة الفقير على تحصيل قوته، وانا على ما نعلم من العمر في ذلك صنف فيه ونجتهد في القيام به بقدر الطاقة، ونرجو من اخواننا الصادقين إعانتنا على ذلك

## السنة الرابعة للحرب

دخلت الحرب في السنة الرابعة من عمرها فشاب لاهوالها الولدان وهي لم تزد إلا شبابا، وخذت بها نار حياة الأمم ولم تزد نيرانها إلا شجوبا، وكان أهم أحداث عامها الثالث في الميادين الشرقية، ثورة الروس على حكومتهم القيصرية، واستقاط القيصر نقولا عن عرشه واعتقاله مع زوجته وولده، ثم نفيهم إلى سيبيريا حيث كانت حكومته المستبدة تنفي الألوف من أحرار السياسيين، والعلماء والكتاب النابغين، وكبر العبر في هذا الانقلاب العظيم أن طلاب حكومة الشعب الشيوعية من الروس عجزوا عن جمع كلمة أحزابهم على شكل آخر لحكومتهم، فانشقت العصا وتفرقت الشيع، وتعددت الثورات والفتن الداخلية حتى في الجند، وقد كانت الحكومة الجديدة الموقته امسكت عن الحرب عقب الثورة وامسك عنها أعداؤها حتى ظن أن هنالك هدنة، ثم هجمت في هذا الصيف على النمسة، فشدد الألمان الهجوم عليها، واستولوا على كثير من ولاياتها، واعظم ما استولوا عليه قيمة عندهم ريفا

يلي هذا ما حدث قبله من دخول دولة رومانية في الحرب واسنيلاء الجرمان على عاصمتها وقسم كبير من بلادها وخروج الملك والحكومة منها واقامتهم في روسية، وويليه اسنيلاء الانكليز في الربيع الماضي على مدينة بغداد عاصمة المدنية العربية في الشرق، وتهنئة الملوك ورؤساء حكومات الاحلاف لملكهم بهذا الظفر،

واما الميدان الغربي الاعظم فاهم احداثه أن الانكليز والفرنسيين مازالوا يكاثرون الألمان في المدافع والذخيرة وغيرهما حتى كثروهم فيها كما كثروهم في عدد الجيوش، وإن الألمان قد جلوا عن قسم عظيم من أرض فرنسة وامتصوا وراة في خطأ أقصر من الخط الاول سموه خط هندنبرج نسبة الى قائدهم العام، وقد استولى الحلفاء على ذلك القسم، بعد أن صار معظمه خرابا يابا كما توقعنا من قبل، وحاربوا الألمان عند انسحابهم منه حربا عوانا، ربحوا فيها كثيرا من الأسرى والمدافع ولا تزال الحرب في هذا الميدان سجالا.

## ﴿ تاريخ هذا الجزء ﴾

صدر الجزء الاول من هذا المجلد في شوال فوجب ان يكون الثاني جزء ذي القعدة وكان جعل تاريخه سلخ شوال خطأ



أوفى الحكمة من بقاء ومن يؤمن الحكمة قبل  
خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألبار

# المجلد

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله أولئك هم أولو الألبار

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي و «منارا» كنار الطريق

٣٠ ذي الحجة ١٣٣٥ — ٢٤ الميزان (خ) ١٢٩٦ هـ ١٧ أكتوبر ١٩١٧

## فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه وألقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب حاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا عفا له

### ﴿ حكمة تحريم الدم المسفوح ﴾

(س ٨) من صاحب الامضاء بمصر

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ رشيد رضا

ما قولكم دام فضلكم في الدم المنصوص على تحريمه في القرآن الشريف مقيدا بالمسفوح مرة وغير مقيد مرارا وما الحكمة في تحريمه . أفيدوا الجواب ولكم الثواب طيب جمعية الرفق بالحيوان

حسن ذهني

(المجلد العشرون)

(١٧)

(المنار: ج ٣)



(ج) الدم المسفوح هو الذي حرم الله شربه وأكله وهو الذي يراق من الحيوان بذبح أو جرح أو غيرها ، وتقييده بالمسفوح هو الذي نزل أولا في سورة الانعام وما نزل بعده مطلقا فهو محمول على ذلك المقيد ومقيد بقيده . واحترز بالقييد عن الجامد كالطحال ، وعما يخالط اللحم من المائع القليل فإنه لا يسفح . وقد بينا في تفسير آية محرمات الطعام من سورة المائدة أن حكمة تحريمه أمران أحدهما أنه خبث تستفد منه الطباع السليمة فوجب التنزه عن جعله غذاء للمؤمنين الطيبين الذين لا يليق بهم الا الطيبات ، وثانيهما أنه ضار لانه عسر الهضم ويشتمل على كثير من الفضلات العفنة ، وكثيرا ما يشتمل على جراثيم الامراض والادواء الخطرة . فان سهل على بعض البارعين في العلوم الطبية معرفة مثل هذا واتقاء ضرره فهو لا يسهل على جميع البشر من البدو والحضر المخاطبين بهذا الدين العام . وتمة الكلام على ذلك في ص ١٣٤ و ١٣٥ من جزء التفسير السادس

(الكتابة وطريق تحصيلها ومكان القرآن والحديث منها)

(س ٩) من صاحب الامضاء بمصر

استاذي الفاضل الشيخ رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله وبعد فانا نعلم مكاتكم من العلم في هذا البلد لذلك

نرجو الاجابة على ما يأتي

ان فن الكتابة والتحرير الذي احياه فينا الاستاذ الامام مازال يتصعد درجات الكمال حتى إنه ليخيل للناظر في كتابات هذا العصر أنه بين أولئك الاعراب البائدين أو العباسيين المتحضرين حسب اختلاف درجات الكتاب . وقد توافقت آراء الكاتبين على أن أقوم طريق الى الكتابة النظر في كلام العرب وحفظ الجيد منه والنسج على منواله . وإنا نجد أحسن كلام في جزالة الالفاظ ومتانة الاسلوب وعلو المعنى كتاب الله تعالى وحديث رسوله وأنا نحفظ الكتاب وكثيرا من السنة ومع ذلك أرانا لا نجد شيئا من الكتابة بل لم نصل فيها الى الدرجة الوسطى من ذلك . وقد بلغنا أن بعض النصارى كان يحفظ القرآن لهذا الغرض

وينتفع به فبأي عين نظر اليه ذلك النصراني حتى انتفع به وما بالكنا ضلنا هذا الطريق في حين أننا أولى به؟ وكم من رجل محافظ شيئا من القرآن ولا عرف شيئا من السنة غير أنه زاول كثيرا من اللغة العربية هو قليل بالنسبة لكتاب الله وسنة رسوله وبهذا طال باعه فيها وذهب فيها مذاهب آباءها الأولين . فاللهم هي لنا ما يرشدنا الى الصواب . وإنا نرجو الاهتداء بهديك والاستنارة بمنارك ان شاء الله فأجبنا عن ذلك وما السبب فيه على صفحات المجلة لفائدة القراء ولكم الشكر محمد أحمد عليوه

(ج) كان الناس في أول العهد بالنهضة العلمية والادبية التي جددتها الاسلام للعرب يطلبون اللغة العربية من أهلها بالتلقي والمشافهة ، ولما سرت المعجمة الى الامصار العربية بكثرة مخالطة العرب للعجم فيها صار أبناء العرب ومواليهم من العجم يرحلون الى الاعراب في البوادي فيقيمون عندهم زمنا طويلا يتلقون عنهم العربية الخالصة من شوائب المعجمة ، ويحفظون أشعارهم ويروونها كما يحفظون ويروون الكتاب والسنة ، فيتلقاها عنهم طلاب العلم والآداب في الامصار ، بالرواية والدراسة والاستظهار ، ولما استنبطوا منها الفنون لاجل ضبطها وفهمها ، وبيان أسرارها وفلسفتها ، صاروا يتدارسون هذه الفنون في المساجد والدور والقصور مع تطبيق قواعدها على الشواهد من الكتاب العزيز والسنة ، وأقوال العرب وأشعارهم المحفوظة ، فيجمعون بين ملكة اللغة وذوقها ، وبين فنونها وفلسفتها ، ومنهم من كان يضم الى ذلك العلوم الشرعية ، والعلوم العقلية والكونية ، ولا يحول رسوخ ملكاتهم في العلوم والفنون ، دون رسوخ ملكة اللغة في منشور ولا منظوم ، وقد انسلخ القرن الخامس للهجرة والعلماء البلغاء كثيرون ، حتى اذا ما تغير منهج التعليم ، وأسلوب التأليف ، وقل الحفظ والحفاظ ، وكثر الاختصار في الكتب وما اقتضاه من البحث في الالفاظ ، ضمنت ملكة اللسان ، وسقطت مكانة البيان ، وصار جهابذة علماء الشرع واللغة ، والمصنفون في فنون الفصاحة والبلاغة ، لا يستطيعون التفات من عقل اصطلاحات علومهم وفنونهم البعيدة عن الأسلوب العربي ، الا الى اسجاع متكلفة ، أو عجمة أو عجرفة ، ومن شاء قايس بين عبارة الزمخشري في الكشف وعبارة الفخر الرازي

## ١٤٨ ملكة الكتاب والسنة من تحصيل ملكة البلاغة [المنار : ج ٣ م ٢٠]

في التفسير الكبير ، وبين عبارة عبد القاهر في أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز ، وعبارة السعد التفتازاني في المطول والمختصر ، فإذا كانت عبارة العلامة التفتازاني في دقتها ونحريتها ، نائية عن براعة عبارة الامام الجرجاني في فصاحتها ورشاقة أسلوبها ، وإذا كانت عبارة الامام الرازي على بسطها وإيضاحها ، تكاد تعد ركيزة عامية في جنب عبارة العلامة الزمخشري في متانتها وعلو أسلوبها ، فما القول في المتأخرين الذين يعدون منتهى العلم الاستعداد لفهم كلام مثل الرازي والتفتازاني ، بل القدرة على المناقشة فيه ، وإيراد الاحتمالات والاجوبة في معانيه ؟

أتى على الامة العربية بضعة قرون وهي في تدل وضعف في اللغة ، لا يمضي عليهم قرن ولا عام الا والذي بعده شر منه ، وما سببه الا تنكب سبيل الاولين في حفظ الكثير من الكلام العربي الحر الفصيح وفهمه ، ومعارضة أسلوبه في نثره ونظمه ، فكان اذا اتفق لاحد منهم ذلك بإلهام الفطرة ، أو إرشاد أحد من بقية أهل المعرفة ، فصار كاتباً بليغاً ، أو خطيباً مفعوفاً ، أو شاعراً مجيداً ، أحال الباحثون ذلك على ندور في الاستعداد ، يكاد ينظم في سلك خوارق العادات ، حتى إن ذلك النابغ نفسه يظل غافلاً عن السبب ، دع من كان بعيداً عنه أو كان منه على كثر بلغ الجهل من أكثر أهل هذه القرون بهذه المسألة كل هذا ولم تكشفه عنهم سيرة سلفهم ، ولا ما يؤثر من العلم وطريقة التعاليم عنهم ، ولا ما شرحه الحكيم عبد الرحمن بن خلدون في القرن الثامن في ذلك وفي هذه المسألة بخصوصها عند الكلام على اللغة العربية وفنونها وآدابها ، وتحصيل ملكة البيان فيها ، فقد وفاها حقها في اثني عشر فصلاً من مقدمته المشهورة وهي الفصل السابع والثلاثون وما بعده الى الحسين ، ذلك بأنه كتب ما كتب والامة في طور يقل فيها من يقرأ مقدمته فيفقه ويعتبر ، ولم يكن كل من يفقه بالذي يقدر على تلافي الخطب ، والسير بالامة في الطريق القصد ، وقد استبد بأمر الامة الاعاجم الجاهلون ، وقل العلماء المستقلون وساد المقلدون .

أما هذه النهضة الاخيرة فقد كان حكيماً السيد جمال الدين مقتدح زنادها ، وشيخنا الاستاذ الامام قائد جياها ، ولكن السائل بالغ في اطراء المعاصرين من كتابها ، فنظمهم في سلك الاولين ، من الفحول المقربين ، وما هم عيال على بعض



المولدين ، على قلة ما يحفظون من المفردات ، وكثرة ما يخطئون في المركبات :  
وأما سؤاله عن حفظ القرآن من النصارى استعانة به على تحصيل ملكة البلاغة  
— وهم ثلة من المتقدمين ، وأفراد من المتأخرين ، — بأي عين نظروا اليه وكيف  
صار بعضهم بليغاً دون كثير ممن حفظه من المسلمين وأضاف إليه شيئاً من الأحاديث ؟  
فجوابه أنهم نظروا اليه بعين طالب الفصاحة والبلاغة ، لا بعين طالب الدين  
والهداية ، والأمور بمقاصدها ، وإنما يستفيد كل أمرى من كل شيء مفيد بقدر  
ما توجه اليه ارادته من فوائده ، وتحصيل ملكة البيان في العربية لا يتوقف على حفظ  
القرآن الكريم ، ولكن حفظه يكون مزيد كمال فيها لمن حفظه وقصد منه ذلك ،  
لأنه أبلغ الكلام العربي وأعلاه أسلوباً ، وإن كان أسلوبه معجزاً لا يمكن أن  
يحتذى مثاله ، ومن حفظه لا يقصد ذلك منه لا يستفيد شيئاً من بلاغته ، كما أنه إذا  
لم يقصد الاهتداء به لا يستفيد من هدايته ، ومن هنا تعلم أن حفظه وحده لا يكفي  
في تحصيل ملكة البيان في اللغة العربية ، بل يتوقف ذلك على ممارسة الكثير من كلام  
بلغاء العرب في العهدين الجاهلي والإسلامي أو العهد الثاني فقط ، وإن هذه الممارسة  
هي الأصل في تحصيل ملكة البيان لأنها هي التي تحتذى وقدّر القرآن الكريم أو  
ضعفه لا يكفي خلافاً لما تظهره عبارة السائل وما قيل في القرآن يقال مثله في الأحاديث  
النبوية وإن كان أسلوبها غير معجز ، وذلك أن المحفوظ منها قليل ، وأكثرها جمل  
مختصرة ، فلا تنطبع في نفس حافظها ملكة التصرف في جميع الأغراض والمعالني .  
ومن لم يقصد استفادة البلاغة منهما لم يستفد منها شيئاً . وإن من حفاظ القرآن عندنا من  
لا قصد لهم من حفظه إلا تجويد ألفاظه وتوقيع آياته على الانغام الموسيقية ليعجبوا  
أو يطرخوا من يستأجرونهم لقراءته في المآتم أو ليالي رمضان ، ومن الناس من  
لا ينظر فيه إلا بقصد البحث عن آية يمكن التشكيك فيها ، بحملها على غير ما أريد منها  
ولا يعجزه أن يجد ذلك ، وقد ذم بعض الشعراء وجهاً أبيض أزهر فشبهه برئة  
الحويان ، وذم ابن الرومي الورد فشبهه بما نزه عنه هذا الكلام . « إنما الأعمال

بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى »

## رحلة الحجاز

٥

### مقامنا بمكة قبل الحج

تقدم انني دخلت مكة ضحوة يوم الاحد ( وهو الثالث من أيام ذي الحجة بحسب تقاويم مصر وهو ما ثبت لدى حكومة مكة بعد وكانوا يعدونه الرابع في تقاويمها ) وانني كنت متمتعاً بالعمره الى الحج ، وانني لم أتجاوز يوم الاحد دار السيد الزاوي التي جئتها بعد الطواف والسعي الا مساء اذ جئت المنزل الذي أعد لي من قبل الأمير أحسن الله كرامته ، وانني لم أخرج منه الا ليلاً بعد وصول السيدة الوالدة والرفاق الى قصر الأمير للشرف بزيارته . ولقيت في القصر نبجله النجيب صديقي الشريف عبدالله ، وليس في مكة من أنجله النجباء سواه ، اذ كان قد وجه الامراء الثلاثة عليا وفيصلا وزيدا الى فتح المدينة المنورة والأمير عبدالله الى فتح الطائف — وتقدم ان فتح الطائف قد تم على يديه قبيل قدومنا ، وانه دخل مكة منصرفاً عنها في وقت دخولنا

وفي اليوم الثاني وهو يوم الاثنين رابع ذي الحجة علم الناس بوصولي الى مكة مع الحجاج المصريين ، وذكرته جريدة القبلة في عددها الخامس عشر الذي صدر فيه ، فأقبل الكثيرون من الشرفاء والعلماء والوجهاء اذ يارتنا وفي مقدمتهم الأمير الشريف عبدالله وبعض من يشار اليهم بعد ، وبقينا الى يوم التروية وهو يوم الجمعة ثامن ذي الحجة لاعمل لنا الاعادة الله تعالى وأخصها التطوف بيته، والا لقاء الناس في الدار وفي الحرم والاستفادة من مذاكراتهم .

وقد كنت مدة إقامتي بمكة ضعيف البدن بنزف دم كان قد عرض لي لم يسبق لي مثله، فكنت لا أستطيع الطواف الا في وقت الاصيل ووقت السحر، وثقل علي الحر على أنه لم يكده يتجاوز الدرجة ٣٥ من ميزان سنكراد الا قليلاً ، ولم اكن أجد راحة في جسدي الا حيث كانت راحة روحي، وما ذاك الا في الحرم الشريف . ولا يوجد في بطن مكة مكان كالحرم يتخلله الهواء اسعته وكثرة الفجاج الموصلة اليه من

الجهات الأربعة ولولا أن وصفه مبین بالتفصيل في كتب المتقدمين والمتأخرين من المؤرخين والرحالين لوصفته في هذه الرحلة الوجيزة . وكنت أصلي الفجر كل يوم بجانب مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى آله الكرام ، وأصلي المغرب والعشاء في الجانب الشرقي من الحرم مع صديقنا الشريف أبي نهي الذي يعشق فضله وأخلاقه كثير من فضلاء المصريين ، اذ عرفوه باقامته في القاهرة عدة سنين ، وكانت داره في مصر بجوار دارنا من شارع درب الجمايز ، واتفق ان زاويته في جدار الحرم الشرقي بالقرب من باب إبراهيم - وكذا داره - فهي بجوار المنزل الذي أنزلنا فيه كما علم مما تقدم . وكان خدمه يفرشون له في كل أصيل سجادة أو سجادتين تجاه زاويته حيث يصلي مع بعض أصحابه وكنت أنا والسيد الزواوي منهم ، وكنا نجيئه في الاصيل ونخرج بعد صلاة العشاء .

لم أجد قوة على رد الزيارة على كل من زارني ولم أتمكن من احصائهم ، فنويت ان أرجئ النظر في ذلك الى ما بعد الانتهاء من أعمال النسك ، ولكنني زرت فوزي بك البكري من سروات دمشق الشام في داره وعبد العزيز بك المصري في منزله وكلا من الشيخ كامل قصاب أحد علماء الشام ومحب الدين افندي الخطيب وفؤاد افندي الخطيب في ادارة جريدة القبلة وكلهم يعملون فيها ، وكثر التلاقي بيني وبين هؤلاء والحديث معهم في الشؤون السياسية الحاضرة ، وتعرف أخبار الحجاز منهم ولم أدخل دار أحد من المكين زائرا الا زاوية الشريف أبي نهي ودار الشيخ محمد صالح الشبيبي فأنح بيت الله الحرام ( ورئيس مجلس الشيوخ في الحكومة الجديدة كما يأتي ) ثم لم يتيسر لي بعد الحج زيارة أحد ممن زارني كما يعلم مما يأتي الا نائب الشرع الشريف الشيخ يونس افندي فأنني زرت في المحكمة الشرعية وكنت عرفته مجاورا في رواق الشوام بالازهر اذ كان يحضر دروس الاستاذ الامام ، وزرت الشيخ عبد الملك الخطيب من أدباء مكة قبل السفر منها بيوم واحد . وكنت أود أن أزور الشيخ عبد الله سراج قاضي القضاة ووكيل رئيس النظائر في الحكومة الجديدة وأخلو به في داره ساعة للمذاكرة في الشؤون الحجازية فلم أجد فرصة لذلك ، وكان قد تفضل بزيارتي في دار الضيافة الهاشمية وأثنى لي على تفسير المنار وطلب



## ١٥٢ الشيخ الشيباني وحديث دخول النبي الكعبة [المنازل: ج ٢٠٣]

مني جميع ما طبع منه . وقد رأيت أنه في أقرب منزلة من ثقة الأمير وقلم جئت قصر  
الإمارة إلا ورأيت معه أو منتظرا لقاءه

وأما الشيخ الشيباني فهو كبير بني شيبان حجة الكعبة المعظمة ووارثي مفتاحها في  
الجاهلية والإسلام ، ويقيمهم من أكبر بيوت قريش بعد بيوتات الهاشميين عامة  
والملويين منهم خاصة ، وهم ينسبون إلى شيبان بن عثمان بن أبي طلحة ، وهو ابن  
عم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة الصحابي الذي فتح باب الكعبة للنبي ( ص ) يوم  
الفتح ودخلها معه كما في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة والسير والتاريخ . وفي  
صحيح مسلم من حديث ابن عمر قال : أقبل رسول الله ( ص ) عام الفتح على ناقه  
لأسامة بن زيد حتى أناخ بفناء الكعبة ثم دعا عثمان بن طلحة فقال « اثني بالمفتاح »  
فذهب إلى أمه فأبى أن تعطيه فقال : والله أعطيه أو ليخرجن هذا السيف من  
صليبي ( يعني أنه يقتل نفسه بطن بطنه به حتى ينفذ من ظهره ) قال فأعطته إياه  
فجاء به إلى النبي ( ص ) فدفعه إليه ففتح الباب . وظاهر هذه الرواية أن النبي ( ص )  
هو الذي فتح الباب ، وورد التصريح بذلك في رواية عنه أيضا سندها ضعيف في  
تاريخ مكة للفياكبي قال ( أي ابن عمر ) كان بنو أبي طلحة يزعمون أنه لا يستطيع أحد  
فتح الكعبة غيرهم فأخذ رسول الله ( ص ) المفتاح ففتحها بيده . ولكن روى عنه  
البخاري من طريق فليح أنه قال : وقال لعثمان « اثنا بالمفتاح » فجاء بالمفتاح ففتح له  
الباب فدخل . وفي هذه الرواية أيضا أنه كان مردفا لأسامة على القصواء وهي ناقته  
( ص ) وفي رواية أخرى للبخاري وغيره أنه ( ص ) أقبل يوم الفتح من أعلى مكة  
على راحلته مردفا أسامة بن زيد الحديث . وقال الحافظ في الفتح : روى عبد الرزاق  
والطبراني من جهته من مرسل الزهري أن النبي ( ص ) قال لعثمان يوم الفتح « اثني  
بمفتاح الكعبة » فأبطأ عليه ورسول الله ( ص ) ينتظره حتى أنه ليتحدر منه مثل الحنان من  
الحرق ويقول « ما يحبسك ! » فسعى إليه رجل وجعلت المرأة التي عندها المفتاح وهي  
أم عثمان واسمها سلافة بنت سعيد تقول إن أخذه منكم لا يعطيكموه أبدا ، فلم يزل  
بها حتى أعطت المفتاح فجاء به ففتح ثم دخل البيت ثم خرج منه فجلس عند السقاية .  
فقال علي ( يعني بني هاشم ) أعطينا النبوة والسقاية والحجاجة ، ما قوم بأعظم نصيبا

مثا . فكره النبي ( ص ) مقالته ، ثم دعا عثمان بن طلحة فدفع المفتاح اليه . ثم قال الحافظ : وروى ابن عائد من مرسل عبد الرحمن بن سابط ( وهو ثقة ) ان النبي ( ص ) دفع مفتاح الكعبة الى عثمان فقال « خذها خالدة مخلدة ، اني لم أدفعها اليكم ولكن الله دفعها اليكم لا ينزعها منكم الا ظالم » ومن طريق ابن جريج ان عليا قال للنبي ( ص ) أجمع انا الحجابة والسقاية فنزلت ( ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها ) فدعا عثمان فقال « خذوها يا بني شيبه خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم » ومن طريق علي بن أبي طلحة ان النبي ( ص ) قال « يا بني شيبه كلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف » اهـ

والظاهر ان ذكر بني شيبه ههنا غلط من النساخ صوابه يا بني أبي طلحة ، فان عثمان بن طلحة هذا هو ابن عم شيبه بن عثمان بن أبي طلحة كما تقدم وكانوا كلهم يدعون بني أبي طلحة نسبة الى جدهم أبي طلحة عبدالله بن عبد العزيز بن عثمان ابن عبدالدار بن قصي . وقد ذكر الحافظ في ترجمة كل من عثمان بن طلحة وابن عمه شيبه بن عثمان من تهذيب التهذيب من عبارة الاصل عن مصعب الزيري ان النبي ( ص ) دفع المفتاح اليهما معا وقال « خذوها يا بني أبي طلحة خالدة تالدة لا يأخذها منكم الا ظالم » وذكر عن ابن سعد عن هوزة بن خليفة عن عوف عن رجل من أهل المدينة : دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عام الفتح شيبه بن عثمان فأعطاه المفتاح وقال « دونك هذا فأنت أمين الله على بيته » وذكر الحافظ هذين الحديثين في ترجمة شيبه من الاصابة أيضا ثم قال : وذكر الواقدي ان النبي ( ص ) أعطاه يوم الفتح امثان وان عثمان ولي الحجابة الى ان مات فوليا شيبه واستمرت في ولده اهـ وهذا هو الصواب ، وقد استمرت في ولده الى اليوم وبهذا حفظ نسبهم ، وعظم حسبهم ، وقد نزعها منهم بعض أمراء مكة ثم عادت اليهم كما يؤخذ من بعض كتب التاريخ أقول ولاهل هذا البيت أن يفخروا على جميع الناس بهذه الوظيفة القديمة الثابتة من قبل الاسلام ، التي أقرها الله تعالى ورسوله لهم في محكم القرآن ، وبأن اقرارها لهم كان سبب نزول تلك الآية العظيمة التي هي قاعدة أصول الاحكام ، وعليها مدار اصلاح الانام ، وهي قوله تعالى ( ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها )

( المنار: ج ٣ ) ( ٢٠ ) ( المجلد المشرون )

واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ) كما تقدم آنفاً  
 وذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور من تخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن  
 جريج ، بمعنى ما تقدم وفيه أنه قال وقال عمر بن الخطاب : لما خرج رسول الله  
 (ص) من الكعبة وهو يتلو هذه الآية فداؤه أبي وأمي ما سمعته يتلوها قبل ذلك .  
 وذكر هو والحافظ ابن كثير رواية طويلة في هذا المعنى عن ابن عباس أخرجهما  
 ابن مردويه عنه من طريق الكلبي عن أبي صالح وفيها أن العباس (رض) حاول أخذ  
 المفتاح وطلب من النبي (ص) أن يجعل له الحجابة مع السقاية فأنزل الله الآية في  
 ذلك . قال الحافظ ابن كثير بعد ذكر هذه الرواية : وهذا من المشهورات أن هذه الآية  
 نزلت في ذلك ، وسواء كانت في ذلك أولاً فحكمها عام اه وذكر علماء الحديث والسير أن  
 عثمان بن طلحة أسلم في هدنة الحديبية هو وخالد بن الوليد وهاجرا وان شعبة أسلم عام الفتح  
 الشيخ محمد صالح الشبي

هذا وأنا لم أر فيمن رأيت رجلاً مثل رؤيته فضلاً من تاريخ قريش في الجاهلية  
 والاسلام وتاريخ بيت الله الحرام الا كبير الشيبين الشيخ محمد صالح . وهو رجل  
 جليل المنظر لطيف المعاشرة ، حسن المفاكة ، له مشاركة في العلوم الاسلامية ،  
 والآداب العربية ، وحظ من المدنية العصرية ، ورأيت على مشربي في العناية بأمر  
 الماء النقي البارد ، فهو لا يشرب من ماء عين زبيدة التي يشرب منها أهل مكة  
 بل يستعذب له الماء من بئر في ضواحيها — كما كان يستعذب الماء من آبار السقيا  
 للرسول الاعظم ، صلى الله عليه وعلى اله وسلم — ويثلج له الماء في داره ، وعنده روايا  
 افرنجية من نوع الترمس الاسطواني المشهور يحمل له فيها الماء المتلوج مع قطع من  
 الجليد المصنوع اذا خرج هو منها الى سفر قريب كعرفة أوجدة . وقد أقام في الاستانة  
 زمنا وهو يعرف اللغة التركية

#### رخاء المعيشة بمكة

وعلى ذكر الثلج أذكر من خبر رخاء المعيشة في مكة المكرمة أن أهل هذا البلد  
 الامين يتمتعون أبداً بدعاء ابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم الذي حكا الله عنه في قوله  
 (وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) ودعائه ان يبارك الله لهم في اللحم عند ما زار بيت



إسماعيل بمكة بعد زواجه الثاني كما ثبت في حديث ابن عباس عند البخاري الذي ذكرنا القسم الأول منه في بيان حكمة السعي بين الصفا والمروة من هذه الرحلة . قاله في مكة كثير رخيص وهو جيد شديد السمن ، والثمرات والخضر فيها كثيرة رخيصة أيضاً على أنهم يرفعون أثمان كل شيء في موسم الحج . وقد كنا في دار الضيافة الهاشمية نستطاب لنا أوان اللحم والخضر في كل غداء وعشاء ، ولكن كان يغلب علي وعلى الوالدة والشقيقة الإقهاء<sup>(١)</sup> فرغبنا في الطعام كانت ضعيفة ، ولولا غيب الطائف ورماتها الجيدان لما طابت لنا المعيشة ، وكان لدينا طاه يحسن الطبخ على الطريقتين المكية والتركية ، ثم استحسننا الوالدة أن تتولى الطبخ لنا إحدى الجاريتين اللتين خصصتا للخدمة المنزلية ، وأما الثلج أو الجليد فقد قيل لنا انه كان له معمل في مكة وقد كسر وتمطل . ووجدنا بعض الهنود هنالك يعملون قطعاً صغيرة من الجليد يجمدونها في قوالب من الزنك ويبيعونها بأثمان غالية جداً لمعتادي شرب الماء المثلوج كالشيخ الشيبني فكنت أشتري منهم كل يوم ، إذ لم أجد ماء كيران الفخار مقبولا وإن كنا في شهر الميزان ، خلافاً للمثل الحجازي القائل : إذا دخلت الشمس في الميزان ، يبرد الماء في الكيران .

وقد ذكر الرحالة محمد بن جابر الأندلسي في رحلته ما وجد في مكة من الثمرات والبقول كما ذكر غير ذلك من خبراتها ونفعها ، قل : وأما الارزاق والفواكه وسائر الطيبات فكنا نظن ان الأندلس اختصت من ذلك بحظ له المزية على سائر حفظوا البلاد حتى حلنا بهذه البلاد المباركة فألفيناها تنعم بالنعيم والفواكه كاللبن والعنب والمان والسفرجل ، والخوخ والارج والجوز والمقل ... الخ ومن أعجب ما أخبرنا به من فواكهها البطيخ والسفرجل وكل فواكهها عجب لكن للبطيخ فيها خاصة من الفضل عجيب ، وذلك لان رائحته من أعطر الروائح وأطيبها ، يدخل به الداخل عليك ، فتجد رائحته العبة قد سقت اليك ، فيكاد يشفك الاستمتاع بطيب رياه ، عن أكله إياه ، حتى اذا ذقه خيل اليك انه شبيه بسكر مذاق ، أو بجنى النحل الباب ، الخ واطنب في وصف جودة اللحم وسمنه ولينه وسهولة هضمه ، وهو كما قل ، ونحن لم

(١) الإقهاء فقد شهوة الطعام

ندرك كل ما أدرك من الثمرات فإنه جاء مكة في قلب الصيف من سنة ٥٧٩ وبقي فيها الى أواخر الشتاء . والبطيخ الاصفر الذي أدركناه دون النوع الجيد منه في مصر المعروف بالشمام

### ﴿ الاحرام بالحج وشد الرحال الى عرفات ﴾

صلينا الجمعة يوم التروية وهو ثامن ذي الحجة<sup>(١)</sup> في الحرم الشريف وفي ليلة السبت شددنا الرحال الى عرفات محرمين بالحج ، وقد قال لي صديقنا السيد الزواوي في صبيحة ذلك اليوم : ان سيدنا الامير أيده الله تعالى قد كان استحسن أن نخرج معه الى عرفة وتكون في صحبته هنالك وفي منى الى أن نهودوا الى مكة ، ولما ذكر لي ذلك مستشيرا فيه ذكرته بوجود والدتكم معكم ، وقلت لعل الاولى أن يخرج في خدمتها لان ذلك آنس لها وأقر لعينها ومزيد ثواب له ، فاستحسن ذلك ، وأمرني بتجهيز الرواحل والمؤنة وسائر ما يلزم وأمر بصرف عشرين جنبها لنفقة عرفة خاصة ، وقد عهدت الى ابراهيم ( هو وكيل الخرج والمتولي أمر خدمتنا ) باختيار جمال قوية جيدة لكم والجمال في هذه العام قليلة جدا لكثرة مامات منها قبل الثورة لقلّة العلف، ولو كان الحاج كثيرا كالعادة لما وجد من الجمال ما يكفي ، وقد وصلت أجرة الجمل الواحد الى عرفة ذهابا وإيابا الى عشرين ريالاً مجيديا ، ولولا ان سيدنا الامير حفظه الله أمر عسكر البيشة بجلب الجمال من الاعراب ولو بالقوة لتعذر على بعض الحاج أن يجدوها الا باجرة فاحشة

هذا ملخص ماقاله السيد الزواوي ، فشكرت لسيدنا الامير كرمه وفضله ودعوت له بالتوفيق والتأييد ، ثم للسيد عنايته بنا هو ونجله السيد عبد الرحمن ، ونعاهد هما ايانا بكل ما نحتاج اليه في كل يوم بل في كل آن ، وكانت هذه العناية على أنهما عند الحل والترحال ، ففي أصبيل هذا اليوم - يوم التروية - جيء بالرواحل الى حوش الدار ، وتولى وكيل الخرج ووالده شد الشقادف وفرشها بنظر السيد عبد الرحمن وارشاده ، ثم ركبنا في وقت العشاء ، فكانت السيدتان والدة والشقيقة

(١) سمي بذلك لانهم كانوا يروون فيه ابلهم ويحملونها المساء الكثير لعدم وجوده في عرفة

في أحسن الموادج ومعهما غرلان الجارية جلست بينهما لخدمتهما ، وركبت أنا ومحمد نجيب أفندي في شقدف ، وركب وكيل الخرج مع الاستاذ الشيخ خالد في شقدف ، وركب والد وكيل الخرج الجبل الذي يحمل الخيام والاثاث والماعون واللؤنة ، وركب السيد عبد الرحمن دابة قهرهه، وسرنا الهوينا في أسواق مكة قاصدين عرفة بعد أن أحرنا جميعا وأهلنا بالحج من منزلنا ، إلا الذي ذهب بالخيام والماعون فانه سبقنا ، وتأخر عنا السيد الزواوي الكبير ثم أدركنا ، وبعد سري نحو من ست ساعات ، وصلنا الى حيث ضربت خيامنا من عرفات ، وذلك بالقرب من موقف النبي (ص) حيث مسجد الصخرات ، (وسباني قريبا بيان هذا الموقف) ولم يكن في استطاعتنا ان تتبع سنته (ص) في السير بأصحابه الى عرفة

كان من لم يسق الهدي من الصحابة الذين كانوا مع النبي (ص) في حجة الوداع قد قلبوا حجهم الى عمرة بأمره (ص) وبعد طواف العمرة وسميها قصروا شعورهم وتمتعوا الى يوم التروية ، وكانوا تازلين في خارج مكة ، فلما خرجوا معه (ص) فيه الى منى أهلوا بالحج من الابطح — وهو ما انبطح من الارض في أول طريق منى ما بين الجبلين الى مقبرة مكة (المطلى) ويسمى البطحاء والمحصب — وقد صلى النبي (ص) الظهر والمصر يوم التروية بمضى وبات فيها ليلة عرفة وانما رحل منها بعد طلوع الشمس ففي ذلك عدة سنن لم تنسرها . والخروج في كل وقت من يوم التروية مباح ، وكره ما لا تقدم اليها قبله والتأخر عنه الا أن أدركه وقت الجمعة بمكة فيصليها فيها كما فعلنا . وروى ابن المنذر أن عائشة لم تخرج من مكة يوم التروية حتى دخل الليل وذهب معه . اهـ من نيل الاوطار

#### صفة الطريق مكة الى عرفات

خرجنا من الدار وهي غربي الحرم بقرب بابه المعروف باب ابراهيم (١) فسرنا في الشارع الكبير ، ما تليين يميننا الى جهة الجنوب الشرقي حيث يكون الحرم الشريف عن يارنا ويسمى ذلك الموضع بالسوق الصغير ، وليمين الشارع جياذوفيه ، ما هذا الحكومة

(١) ابراهيم الذي أنشئ اليه هذا الباب منى كان هناك ويظن بعض الناس أن المراد ابراهيم الخليل (ص) ومن اغتر بظاهر التسمية للرحلة ابن جبير فظن ذلك



٩٥٨ مداخل مكة . الحجون وثنية كداء [ المنار : ج ٣ م ٢٠ ]

والمطبعة والتكية المصرية ، ويليه شارع المسعى حيث يكون السعي بين الصفا والمروة ،  
فالتشيشية فسوق الليل الذي كان فيه ميلاد النبي الاعظم ، صلى الله عليه وآله وسلم ،  
وهناك يتحول السائر في الطريق الى جهة الشمال فيمر بالقرية وفيها قصر الامارة عن  
يمينه ، قالنقا فالسليمانية عن يساره ، وهذا القسم الشمالي من مكة واقع بين جبل أبي  
قيس من جهة الشرق وجبل قبيعان وجبل الهندي من جهة الغرب ، ودونهما جبل  
العلم الصغير عند النقا

ومتى جاوز الخارج من مكة عمراتها من هذا القسم يرى عن يساره مقبرتها المعلاة  
أو المعلى وفيها قبر السيدة خديجة أم المؤمنين ، وجدة آل البيت الطاهرين ، عليها  
وعلينهم السلام ، وهذه الجهة هي أعلى مكة وتسمى الحجون (بفتح الحاء المهملة) التي  
قال فيها الحارث بن مضاض الجرهمي :

كأن لا يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بل نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والحدود العوار

ويدخل فيها من ثنية كداء (١) التي دخل منها رسول الله (ص) مكة عام الفتح  
وفي حجة الوداع وهي في أعلى الجبل الذي على يسار المار الى المقبرة ، ويقال لثنية كداء  
الثنية العليا ، وللاثنية الاخرى التي دخلنا منها الثنية السفلى وتسمى كدى (بالضم والقصر)  
ومنها خرج النبي (ص) من مكة ، وهي بقرب شعب الشاميين من ناحية جبل  
قبيعان . وهناك باب الشبيكة المشهور بعد جروول .

ووراء المعلى في طريق منى مكان يسمى البياضية مطلق الهواء ، فيه قصور لبعض  
الشرفاء . ومن هناك يتحول طريق منى الى الشرق ، وهو واد يختلف عرضه من  
مثنى ذراع بذراع الآدمي الى ألف ذراع بالتقريب ، وتختلف أسماؤه باختلاف  
المواقع ، وأشهرها وادي المنحنى الذي قال فيه ابن الفارض

ما بين ضال المنحنى وظلاله ضل المتيم واهتدى بضلاله

ويليه وادي السلم بفتح السين واللام ويند كر كثيرا في أشعارهم . والضال هو

(١) الثنية بوزن قضية الطريق في العقبة أو العقبة المسلوكة . وقال الراغب الثنية من الجبل  
ما يحتاج في قطعه الى صعود وحدود ، والعقبة الطريق الوعر في الجبل . وكداء بفتح الكاف والمدة .

[ النار : ج ٣ م ٢٠ ] مداخل مكة . الحجون وثنية كداء ١٥٩

البري من شجر السدر وهو ذو شوك زينة شجرة العالم الشجر الذي يسمى ورقه القرض ويدبغ به، وهما من أشجار تلك البلاد.

وأول منى العقبة التي فيها الجرة المنسوبة إليها وسبأني ذكرها . والمسافة بين مكة ومنى فرسخ واحد أي ثلاثة أميال كما قالوا ، ففي معجم البلدان لياقوت : منى بالكسر والتنوين في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الجمار يسمى بذلك لما بنى فيه أي براق من الدماء - أي دماء الانعام لذلك - إلى أن قال : وهي بليدة على فرسخ من مكة طولها ميلان تعد أيام الموسم وتخلو بقية السنة إلا ممن يحفظها ، وقل أن يكون للإسلام بلد مذكور إلا ولاهله بمنى مضرب أم والمراد بالضرب المكان الذي تضرب فيه خيام الحاج . وهذه الطريق يقطعها راكبو الخيل وكذا الحمر في ساعة واحدة وراكبو الأبل في ساعتين . وحسد منى من العقبة التي فيها جرة العقبة إلى بطن محسر ( بكسر السين المشددة ) كما سبأني . والغالب فيها التذكير والصرف ، وقد تؤنث على الأصل في أسماء البقاع وتمنع من الصرف

والوادي بين منى والمزدلفة يسمى وادي النار ، وتسمى المزدلفة جمعاً أيضاً ويكثر هذا الاسم في الأخبار والآثار والأشعار ، وهي المشعر الحرام عند الجمهور أو هو جبل قزح فيها ، قال تعالى ( فاذكروا الله عند المشعر الحرام ) أي في المزدلفة فهي عند الجبل . والمسافة بينها وبين منى من نهاية حدها الشرقي نصف ساعة لركاب الخيل أو الحمر الفارحة وساعة أو ساعة وربع لراكبي الأبل . وسميت جمعاً لجمعها الناس في ليلة النحر ، والمزدلفة من الازدلاف وهو الاقتراب اما للتقرب إلى الله بذكره فيها أو للازدلاف اليها من منى بعد الافاضة من عرفات . وقيل إن آدم وحواء تعارفا في عرفة واجتمعا في المزدلفة وسبأني الكلام على المبيت فيها لذلك .

والمسافة بين المزدلفة وعرفات ساعة ونصف على الدواب ويمكن قطعها بأقل من ذلك ، وثلاث ساعات الأبل . وبين المزدلفة وعرفة مضيق الأخشين ووادي نمرة وبطن عرنة . وقال العلماء إن المسافة بين مكة وعرفة تسعة أميال تقريباً ، نقله الزبيدي شارح القاموس والاحياء ، ولكنه ذكر عند الكلام على نمرة أنها على مسافة أحد عشر ميلاً

## وفاة الشيخ سليم البشري

شيخ الأزهر

في الضحوة الكبرى من يوم الجمعة لاربع خلون من شهر ذي الحجة الحرام توفى الاستاذ الاكبر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر عن عمر ناهز المئة سنة وقيل جاوزها ، وكان قبل يومين من وفاته سليما معافى، وقد نعته ادارة المعاهد العلمية في الأزهر الى رؤساء الحكومة والجرائد اليومية بما نصه :

« أصيب المسلمون في مصر بفقد شيخ المسلمين وكبير علماء الدين حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر ورئيس المجلس الاعلى للمعاهد العلمية والدينية الاسلامية »

« توفى الى رحمة الله قبيل ظهر اليوم ( الجمعة ٢١ سبتمبر سنة ١٩١٧ ) بعد ما لزم الفراش يومين كان من قبلهما ينهض باعباء المعاهد الدينية ويلقي دروسه العالية في الأزهر بعزم قتي لاتدل منه الشيخوخة ولا يدركه هرم

« وستشيع جنازة الفقيد غدا السبت ٢٢ سبتمبر سنة ١٩١٧ الساعة ١١ صباحا من محطة كبري الليمون مرة بشارع كامل فشارع الموسكي الى الجامع الأزهر حيث يجتمع وفود المشيعين من العلماء والطلاب وغيرهم للصلاة عليه . ثم تسير الجنازة الى مدافن السادات لما لكية بقرافة الامام مارة بشارع الغورية فشارع المغربين فشارع محمد علي ويلقي صاحب العزة حافظ ابراهيم بك على قبر الفقيد مرثاة من نظمه . « أحسن الله عزاء المسلمين في فقيدهم الجليل وتولاه برضوانه ورحمته »

كانت وفاته في داره بالحلمية من ضواحي مصر وبدى الاحتفال بتشيع جنازته في الوقت الذي ذكر في النعي وقد وصفت ذلك جريدتا الاهرام والمقطم بالتفصيل ، قالت الاهرام :

« فجيء بالجثة من الحلمية الى كبري الليمون بقطار خاص يصحبها أنجال الفقيد وأحفاده وآله وجمهور من العلماء والاعيان . وكان في انتظارها في محطة كبري الليمون نفسها من الداخل جمهور عظيم من كبار العلماء والموظفين المسلمين والمسكرين



## [المنار: ج ٣ م ٢٠] بدنة تلاوة آيات الأبرار لاجل الجنازة ١٦١

والأعيان والتجار والمحامين يتقدمهم حضرة صاحب السعادة حسن عبد الرازق باشا وكيل الديوان العالي السلطاني بالنيابة عن صاحب المعظمة السلطانية والكونول ر. ف. ه. رت بالنيابة عن القومسيبر العالي البريطاني وحضرة صاحب المعالي إبراهيم فتحي باشا وزير الأوقاف العمومية بالنيابة عن رئيس الوزراء والميجر ه. م. جريفنس أحد أركان الحرب في الجيش البريطاني بالنيابة عن القائد العام فاللواء السيد علي باشا مساعد الادجونات الجنرال بالنيابة عن وزير الحرية فالقائمقام ادوارد من بك بالنيابة عن مرقد الجيش فحضرة صاحب المعالي محمود شكري باشا رئيس الديوان العالي السلطاني فحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد نجيب مفتي الديار المصرية» ( ثم ذكرت وكلاء الوزارات بأسمائهم وكبار الموظفين والوجهاء بالأجمال وخيالة البوليس فجمهور الطلاب الأزهريين وطلبة مدرسة القضاء الشرعي ومدرسة ماهر باشا) ثم وصفت الجريدة السير بالجنازة الى الأزهر والصلاة عليها فيه وتأين القعيد كما بلغت ، ومنه ان المؤذنين كانوا يرتلون في المآذن التي مرت فيها الجنازة - وكذا في صحن الأزهر - آيات الأبرار أي الآيات التي وردت في وصفهم من سورة الانسان وهي قوله تعالى ( ان الأبرار يشر بون من كاس كان مزاجها كافورا ) الخ وأقول ان هذا من البدع الخاصة بكبار رجال العلم الديني ومن ينزلونه منزلتهم ولذلك يظن الكثير من غير المسلمين ومن المسلمين الجاهلين الذين لا يعرفون السنن والبدع أنه من شعائر الدين . وللمؤذنين في قراءة هذه الآيات طريقة رديئة لم تكن قراءتها والاجتماع لها في المآذن والمساجد بدعا لكأن هذه الطريقة في التلاوة كافية في وجوب الإنكار عليهم ووجوب منعهم من ذلك على القادر . ذلك أن يقطعون الآيات قطعاً يقرأ بعضهم كلها منها يسكت في غير مواضع الوقف منها فيتم بعض آخر ما بدأ كما يفعل المثلون للقصص في الملاحية ، فيفصلون بين الصفة والموصوف ، والعامل والمعمول ، يقول بعضهم ( ان الأبرار يشر بون من كاس ) فيقول آخرون ( كان مزاجها كافورا ) ثم يقول بعضهم ( عينا يشر بها عباد الله ) فيقول آخرون ( يفجرونها تفجيرا ) وهكذا يفرقون في قوله تعالى ( يوفون بالندى ويخافون يوما كان شره مستطيرا ) بين يوما وما وصف به ، ولو تدبروا الآية لخافوا ان يذهبهم الله تعالى في ذلك اليوم على هذا التزييق في قراءة كتابه . ومن غريب الاتفاق

( المجلد العشرون )

( ٢١ )

( المنار: ج ٣ )

## ١٦٢ مريثة حافظ إبراهيم في البشري [ المنار: ج ٣ م ٢٠ ]

اننا اقترحنا في جزء المنار الماضي على شيخ الازهر أن يسمي لا بطلال البدع من المساجد ولم يكذب نوزع الجزء الا وقد قضي الشيخ نحبه ، فعسى أن يقوم بذلك خلفه  
ثم قالت الاهرام : وكان الناس من وطنيين وأجانب وقوفا بالعشرات والمئات على جانبي الطريق يحيون الفقيد في مشهده ويترحمون عليه . ثم ذكرت وصول الجنازة الى الجامع الازهر في منتصف الساعة الاولى بعد الظهر والصلاة عليها وقراءة الشيخ محمد الحلاوي قصيدة من نظمته في رثاء الفقيد . وتلاه الشيخ محمد أبو العيون بتأبين منشور أشير اليه بأن يختصره لاجل التعجيل بالدفن المطلوب شرعا ففعل .

ثم حملت الجنازة من الازهر والمؤذنون يكررون الآيات التي تقدم الكلام عليها الى مقابر المالكية من قراقة الامام الشافعي رضي الله عنه ، وبعد مواراتها التراب أنشد محمد حافظ بك ابراهيم مريثته وتلاه الشيخ محمد فراج المنياوي بتأبين نثري أساء فيه الاطراء فجعل فيه الفقيد من الخلفاء الراشدين بل فضله عليهم في التعبير . ثم عزى جمهور المشيعين أبناء الفقيد وانصرفوا

### ﴿ مريثة محمد حافظ بك ابراهيم ﴾

أبدري المسامون بمن أصيبوا	وقد واروا سنيما في التراب
هوى ركن الحديث فأني خطب	لطلاب الحقيقة والصواب
موطأ مالك عزى البخاري	ودع لله تعزية الكتاب
فما في الناطقين فم يوفي	عزاء الدين في هذا المصاب
قضى الشيخ المحدث وهو بملي	على طلابه فصل الخطاب
ولم تنقص له التسمون عزما	ولا صدته عن درك الطلاب
وما هالت قريحته الليالي	ولا خاتنه ذا كرة الشباب
أشيخ المسلمين نأيت عنا	عظيم الاجر موفور الثواب
لقد سبقت لك الحسنى فطوبى	لموقف شيخنا يوم الحساب
إذا ألقى السؤال عليك ملق	نصدي عنك برك للجواب
ونادى العدل والاحسان انا	نزي ما يقول ولا نحاي
قفوا يا أيها العلماء وابكوا	ورروا لحده قبل الحساب

فهذا يومنا ولنحن أولى      يذل الدمع من ذات الخضاب  
عليك تحية الاسلام وقفا      وأهليه الى يوم المآب

### التعازي

ونشرت جريدتنا الاهرام والمقطم تمزية برقية من نائب الملك لمدير المعاهد الدينية وأخرى للشيخ طه البشري أكبر أبناء الفقيد صرح فيهما بأن نهي الفقيد قد شق عليه كثيرا ودعا له بالرحمة والرضوان — و برقيتان أخريان بمعنهما من كبير الوزراء صرح فيهما بأنه أسف جدا لعدم إمكان تشييعه الجنازة بشخصه .

وقد تألف وفد من أنجال الفقيد ومراقب الازهر رأسه المدير العام للمعاهد الدينية الشيخ عبد الرحمن قراعة لاداء الشكر لرؤساء الحكومة وكبراء البريطانيين الذين اشتركوا في تشييع الجنازة بالذات أو بإيابة الوكلاء عنهم والمعزين فبدؤا بقصر عابدين وسجلوا أسماءهم في (دفتر التشریفات) ثم نائب وزير الحرية وادورودس بك اشكر السردار ثم الجنرال كليتون لشكر القائد العام للقوات البريطانية بمصر على ارساله مندوبا لتشييع الجنازة ثم وكيل الاوقاف لشكره وشكر الوزير وأرسلوا برقيات شكر الى نائب الملك ورئيس الوزراء وقومندان المحرسة ومحافظ العاصمة وحكام أقاليمها

### ﴿ ترجمة الفقيد ﴾

نشرت جريدة الاهرام ترجمة وجيزة للفقيد قيل انها مستمدة من أهل بيته ملخصها :  
انه « وادحوالي سنة ١٢٤٣ أو ١٢٤٤ في محلة بشر بمركز شبراخيت وماشب حضر الى مصر لتلقي العلم وأقام تحت رعاية شيخه الشيخ بسيوني البشري من شيوخ المسجد الزيني ، وانه تعب في طلب العلم تعباً شديداً ولقي من الدهرفيه مقاومات عظيمة ، وانه كان يتعب في المسجد الزيني ليلا ويذهب الى الازهر نهارا لتلقي الدروس ، وان خاله عين أمينا لكساوي الحمل في أول ولاية سعيد باشا فخرج معه الى الحجاز حاجا « وبعد ان أدى فريضة الحج عاد الى مصر و بقي يشتغل بالتدريس حتى سنة ١٢٧٣ تقريبا »

= وأن أول عهده بالوظائف أن « عين إماما لمسجد إينال بمرتب ٩٠ فضة في الشهر » « وفي سنة ١٢٩١ مات الشيخ علي العدوي فنيط به التدريس في المسجد الزيني بدلامنه بمرتب مئة قرش في الشهر وعين وكبلا عن شيخ المسجد الزيني لحدائة سنة



## ١٦٤ تعظيم البشري للقبر المنسوب إلى السيدة زينب [المنار ج ١ ص ١٠١]

وهو الشيخ أحمد الصفتي الشيخ الخالي وقي كذلك إلى آخر ولاية إسماعيل باشا « ثم عين إماماً وخطيباً لمسجد زين العابدين ثم شيخاً للملكية بعد وفاة الشيخ عليش ثم شيخاً للآزهر لأول مرة في سنة ١٩٠١ وكانت مدته أربع سنين . وذكر من حبه للعلم وإثاره له أن تلميذه قدرى باشا عرض عليه وظيفة بثلاثين جنباً فأبى مفضلاً الانقطاع إلى تعليم العلم . ولم يذكر تلك الوظيفة فالظاهر أنه لم يكن يمكن الجمع بينها وبين التعليم .

وذكر مسألتين من خلائقهما أحدهما أنه كان اختار الشيخ أحمد المنصوري شيخاً الرواق الصاعدة فأبى قاضي مصر إقامة ناظر على أوقاف الرواق فأصر صاحب الترجمة على تعيينه دون غيره « ورأى في العدول إهداراً رأيه وبالغ في التشبث برأيه حتى فضل ترك المشيخة على التجاوز عن حقه المفروض بحكم القانون » والثانية أنه لما جدد المسجد الزينبي رأى رئيس مهندسي الأوقاف أن ينقل القبر المنسوب إلى السيدة زينب بما فيه فعارضه الشيخ وأعلمه أن ذلك مخالف للشرع من وجوه عديدة، وانتهى الخبر إلى الحديو محمد توفيق باشا فأمر بابقاء القبر في مكانه وترضى الشيخ فتم له ما أراد . ولما كانت نشأة الشيخ الدينية قد كانت في جوار ذلك الضريح وصار قياً له عدة سنين ظل محافظاً على تمر به طول عمره ، ولا ندري أكان يعتقد أن السيدة زينب مدفونة في هذا المكان كما يظن عامة المصريين أم كان يرى أن نسبة القبر إليها كدنتها فيه ؟؟

وفي هذه الترجمة أغلاط وقصور . وقد علمنا من عالم من أكبر تلاميذ الفقيد وأعلمهم بترجمته أنه سمع منه أنه ولد في سنة ١٢٣٧ وأنه جاء مصر في سنة ١٢٤٥ أو ١٢٤٧ وأقام عند خاله الشيخ بسيوني شلتوت المؤذن في مسجد السيدة زينب . ثم قضت الحال أن أرسله الحال إلى الأزهر

وقد رأينا في جريدة وادي النيل التي تصدر في الإسكندرية — وهي أرقى جريدة للمسلمين في هذا القطر — نمياً للفقيد وشيئاً من حاله يبلغ زهاء نصف عمود بدأه بقوله : « نعت العاصمة الأستاذ الشيخ سليمان البشري شيخ الجامع الأزهر عن عمر طويل قضى شطره الأكبر في خدمة العلم وقضى أواخره في ولاية المشيخة الأزهرية غير مرة . وكان رحمه الله في ولاية المشيخة ذا أنصار يحفون من حوله وخصوم

كثيرين يأخذونه بأمور ليس من المناسب ذكرها » ثم ذكر ان علماء الازهر متفقون على أنه أعلمهم بالحديث وان طريقته في قراءته انه كان يقرأ الحديث أولاً على سبيل التبرك ثم يقرأه أحد الطلبة بصوت جهوري ثم يشرحه الشيخ بما شاء الله من هلمه . أقول وهذه المزية له مشهورة سمعتها من كثيرين وعلمها بنى حافظ مريته ، وهي أعظم مزية تذكر له في هذا العصر الذي أهمل الازهر يون فيه العناية بعلم السنة رواية ودراية حتى صار طلبة العلوم الدينية في ديوبند وغيرها من بلاد الهند يفضلون أكبر شيوخ الازهر في علوم الحديث . وانما كان الشيخ سليم البشرى على حظ من علم الحديث لانه طلب العلم قبل هذا الجيل بجيلين وكانت كتب السنة لاتزال تدرس في الازهر . وقد أدركنا من أقران الشيخ في الطلب شيخ شيوخنا الشيخ محمود نشابه فألفيناه منفردا بعلوم الحديث ، وقد كنت أقرأ عليه صحيح مسلم فيصح لي أسماء الرواة وغريب الحديث ويحيني عن كل ما سأله عنه من المشكلات على البدهة من غير مراجعة شرح ولا كتاب آخر . فاذا رجعت الى تلك الكتب رأيت ما قاله هو الصواب . ولكن صاحب الترجمة لم يعمل شيئاً لاجاء ما ندرس من علوم الحديث في الازهر في أيام رياسته ومشيعته

وعندنا ان أعظم ما يدكر في تاريخ مشيعته للازهر قبوله للقانون الذي وضعته الحكومة له ولمعاهد التعليم الديني التابعة له وتنفيذه اياه ، وقد بينا رأينا فيه في المجلد الرابع عشر من المنار ، ولا مجال لبيان ذلك ولا لما كان بين المترجم وبين الاستاذ الامام من الوفاق والخلاف في ادارة الازهر ، وانما أقول ان المترجم كان حريصاً على نيل رضا السلطة العليا في كل وقت ، وقد فصلنا ذلك بعض التفصيل في تاريخ الاستاذ الامام ( للترجمة بقية )

### ﴿ شيخ الازهر الجديد ﴾

لما توفي الشيخ البشرى كثر القيل والقال في الازهر في ترشيح خلف له وسرى ذلك الى سائر معاهد العلم الديني التابعة للازهر والى غيرها واشتهر أن الازهر بين رشحو أربعة أشياخ كل منهم له حزب رشحه ، وسعى له سعيه ، وقد كتب بعضهم مقالات الى الجرائد يطمعن فيها ببعض ، منها ما نشر ومنها ما لم ينشر ، واتسم الوقت للخوض في ذلك

## ١٦٦ الشيخ محمد أبو الفضل شيخ الازهر [ المنار: ج ٣ م ٢٠ ]

بأن البشري توفي قبيل عطلة عيد الاضحى ولم يتعين الخلف له الا بعد انتهائها فقد صدرت الارادة بتعين الشيخ محمد أبي الفضل الجبراوي شيخ معهد الاسكندرية شيخا الازهر ورئيسا لمجلس المعاهد الدينية الاعلى في يوم الاثنين لاربع عشرة خلت من شهر ذي الحجة الحرام ، وهو أكبر علماء المالكية بعد البشري سنا ومن أشهر علماء الازهر في العلم والمحافظة على آداب الشيوخ وشماثلهم، ويقال انه في العقد الثامن من العمر، وقد سبق له الاشتغال بإدارة الازهر إذ كان أحد أعضاء مجلس إدارته في مشيخة الشيخ حسونه النواوي ثم عين وكيل الازهر وبعد قليل من الزمن عين شيخا لمعهد الاسكندرية. فنهته بأكرم منصب يرتقي اليه شيوخ العلم الديني بمصر ونسأل الله تعالى ان يوفقه ويسدده فيه ويجعل لاهياء علم السنة ومقاومة البدع أفضل حظ من عنايته

### عبر التاريخ

ما قيل في فتح الانكيز لبغداد

قالت جريدة القطم في فاتحة مقالة طويلة نشرت في صدر العدد الذي صدر في ١٩ جمادى الاولى سنة ١٣٣٥ - ١٣ مارس سنة ١٩١٧

«قضي الامر في العراق وسقطت بغداد عاصمة الخلفاء العباسيين ومبارة مجدهم وعنوان فخرهم، واستولى البريطانيون على منبت أثلة المنصور والمهدي وهرون الرشيد والمأمون وموئل العلماء والشعراء والادباء في عصر الشرق الذهبي الحديث. أي ذكرى تهيج في خاطر العربي اذا ذكر اسم بغداد والزوراء ودار السلام؟ بل أي مجد يتحلى لبيته عند سماع اسمها من دولة عظيمة الاركان، متينة البنيان، قامت على العدل والنظام والعلم والامان، وشعب ناهض ناشط لطلب العلم واتقان الصناعة وترويج التجارة، وتوسيع نطاق الزراعة وبسط السيادة، وازادة مصباح العلم لتمزيق دياجير الظلام. بغداد دار العلم والمجد وبغداد مقر العظمة والثروة وبغداد عاصمة العرب وقاعدة الشرق هذا ارث مجيد ظل بيد الشرقيين اثني عشر قرنا شاهداً ناطقاً بعظمة أسلافهم يناوح خرائب بابل وآثار نينوى حتى صار أمره الى الاتحاد بين فضاء منهم كما ضاع سواه، وصارت بغداد في يد من يعرف قبمتها ويقدرها حق قدرها



هذا ميراث العرب الكرام أخذه الانحاديون كما يأخذ الصبي الكرة وقذفوا به كما يقذف بها فأفلت من يدهم وهم يسبرون الجيوش الى بلدان أوربة فاتحين وشفور تركيا وكبار مدنها تسقط الواحدة بعد الاخرى . هذه سنة الله في خلقه وقد سخر الانحاديين لانتفاذ مشيئته وانزال قضائه »

ثم قال في فاتحة العدد الذي صدر في ٢٢ جمادى الاولى بعد كلام علل فيه تسمية الجرائد الانكليزية ببغداد مدينة الشعر والخيال بأنهم أخذوا ذلك من كتاب الف ليلة وليلة الذي هو أشهر كتاب عند الانكليز بعد التوراة والانجيل :

« أما العرب فينظرون الى بغداد من وجهة أخرى وان لم ينفخوا وجهه الشعر والخيال فالعرب في مقدمة الامم التي نبجل الشعر والشعراء ولكن العرب يرون في بغداد القديمة عنوان مجد جنسهم، ورمزاً الى أكبر شأواً بلغته حضارتهم، ويذكرون ان عصرها الاول كان عصرهم الذهبي اذ منها انبج صبح العلم في المصور الحديثة فأضاء الشرق والغرب » ان العرب يرون في بغداد الاولى مقر العلم والحكمة، وخرانة معارف الشرق، ومدرسته التي نبغ فيها العلماء والاطباء والفلاسفة والفلكيون والكيميائيون والشعراء والكتاب والفقهاء والمهندسون برعاية العباسيين وعناية أفضل خلفائهم ولا سيما المأمون الذي كان عضد العلم وسند العلماء

« قال السر هنري رولنسن المؤرخ الشهير في كلامه عن بغداد ما نصه: [وقد نافست بغداد قرطبة في الآداب والعلم والصناعة والفنون فكان لها تين المدينتين سيادة العالم من هذا القبيل . أما في التجارة والثروة فان قرطبة لم تبلغ شأواً ببغداد . وكانت بغداد عاصمة الاسلام الدينية والعاصمة السياسية لمعظم بلدانه لما كان الاسلام ركن حضارة الدنيا ] » هذه هي بغداد كما يراها العرب الذين يعرفون تاريخ قومهم، ويحفظون ذكر عظمة جنسهم ، ويتعسرون على أيام الرشيد والمأمون، ويتمنون لو اتيج للعرب ان ينهضوا مثل نهضتهم في ذلك العصر السعيد ، ويتعاونوا على رفع شأنهم باتقان العلم وتنشيط الصناعة والتفاني في تأييد المجموع

« كانت بغداد لسلطنة العرب كلندن اليوم لسلطنة البريطانيين ، فكانت مركز قوتهم، ومجمع علمهم، وركن صناعتهم، وسوق تجارتهم، ومجلس حكومتهم، وكان خلفاؤها

١٦٨ عبر التاريخ . فتح بغداد [ المنار : ج ٣ م ٢٠ ]

ينظرون في الجهات الأربع ويعلمون أن الرياح كيفما هبت فانها تهب عليهم من ولاياتهم  
ومالكهم حتى لقد قل الرشيد مخاطب السحابة «اهطري حيث شئت فان خبرك يأتيني »  
« ان بغداد صارت الآن للعرب مدينة الشعر والخيال اذ لا سبيل الا بهما الى  
تمثل عظمتها الماضية ، أما في عصر العرب الذهبي فقد كانت بغداد جلعة لاهية  
الملك وشرف العلم ومجد الصناعة وعظمة التجارة واتقان الفنون وبراعة النظام، فكان  
الخيال والشعر فيها تفكها يلطمان من أخلاق أهلها وهم في طلب العلم جادون ، والى  
التقدم والارتقاء والنجاح ناشطون » وفي ذلك يقول أحد شعرائهم :

بغداد أبتما الجياد قلها أنجى وأقرب للشؤون وأنجح

«ولله در ذلك المسنشق القائل<sup>(١)</sup> : [في بلاد سكانها من صمم العرب الذين  
عرفوا بالعمرة والالفة والشم ودانت لهم الاقطار، ففتحوا الممالك ودوخوا الامصار في  
غابر الاعصار، وأنشأوا لهم في التاريخ مجداً خالداً، وذكرأً باقياً، فداع فضلمهم، وطار  
شهرتهم ، وتناقلت الركبان أخبارهم .... هناك جنة عدن وهناك جنات النعم ، كانت  
رافلة في حلل الهناء والرخاء أيام كانت انكثرة والمائة فيافي وقفاراً، وكان أهلها غارقين  
في بحار الجهل يتخبطون في دياجى الظلام . بلادكم أيها العرب هي البلاد التي أزهرت  
فيها الحضارة وأينعت الفنون وأثمر الادب وعمرت دور العلم والفلسفة وهي البلاد التي  
انبعث منها نور الدين وألبست العالم ثوب الرفاهية والسعادة ]

« ترى هل يكون للعرب نصيب من يقظة العالم بعد الحرب ويد في نهضته  
القادمة فيحل الجاهل محل الخيال، وتطلق العقول والقلوب مما أصابها من الفتور، وتنزل  
هذه الامة المنزلة التي نجدربها في مجالس الشموب؟ أو تظل تعود بصرها القهقري  
الى عصور مضت، وأيام انقضت، تنفذى بالذكري، وتصبعد الانفاس الحريءاه

(١) أي في مقالة نشرت مترجمة في المقام بتاريخ ٢٧ سبتمبر سنة ١٩١٦

### ﴿ حجم المنار ﴾

اضطررنا اقتطاع ورود الورق وغلاؤه المضاعف الفاحش الى تصغير حجمه رجاء  
الزيادة في أجزائه وهو ضرورة نتقدر بقدرها ، وعسى أن لا يطول أجلها .